

دور المرأة المسلمة في الإصلاح الاجتماعي

إعداد الدكتور

أسامة أبو زيد علي

الاستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية جامعة جازان

من ١٧٧٩ إلى ١٨٧٤



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

أصبح الحديث عن حقوق المرأة ومشاركتها في شؤون المجتمع من أهم موضوعات الساعة، لما حظيت به من مكانة في مجال التعليم والتعلم ، وصارت لكثير من النسوة الصدارة في كثير من المجالات، وحظيت بالمكان والمكانة في كثير من المجتمعات، وأصبح من الضروري التعرض لوضع مشاركتها في قضايا الأمة ، وثمرة تعليمها والصدارة التي وصلت إليها، وهو أمر يحتاج للبحث والدراسة ، وأفضل بداية لدراسة هذا الموضوع وتأصيله ، أن تكون من حيث بزغ نور الهداية على البشرية ثم انطلق بعد ذلك للآفاق ، حتى العصر الحاضر .

والحديث هنا عن وقائع مشاركات جادة تتوفر فيها الآداب الإسلامية والسلوكيات الشرعية المرعية ، وتاريخ الإسلام على مر العصور فيه أروع الأمثلة للمرأة التي كفل الإسلام حقوقها وحفظ عليها كرامتها وجعلها معززة مكرمة، فكانت لها مشاركتها في قضايا الأمة المهمة والمصيرية ، وما ذكر في البحث، تضمن أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم عمل نساء صالحات مصلاحات ، مرتبط بالأحكام التفصيلية والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية.

دوافع الكتابة في هذا الموضوع: هناك عدة بواعث لاختيار هذا الموضوع منها :

- ١ . اهتمام العالم أجمع بوضع المرأة المعاصرة .
- ٢ . وصول المرأة للصدارة في المجتمع، وما خلفته من آثار إيجابية، تلمسها المجتمعات.

- ٣ . مشاركة المرأة الفاعلة في كثير من الأحداث الجارية على المستوى العالمي والمحلي خاصة محاولات الإصلاح والتغيير الإسلامي وغير الإسلامي .

أهداف البحث :

- ١ . بيان أهمية دور المرأة في إصلاح المجتمعات .

٢. بيان الوقائع والشواهد التي تدل على إنصاف الإسلام للمرأة وإعطائها كافة حقوقها .

٣. بيان الأدوار الفاعلة للمرأة في بناء المجتمع الإسلامي منذ عهد النبوة إلى زماننا .
٤. إصلاح سفينة المجتمع لا تتم الا من خلال التعاون التام والمشارك بين الرجل والمرأة.

منهج البحث: قام البحث على منهجين رئيسيين هما : المنهج الاستردادي " التاريخي " والمنهج التحليلي الوصفي ، وذلك بتحليل بعض النقاط واستخلاص العظات والعبر والفوائد منها.

مفردات عنوان البحث: سؤال مع كل أطروحة علمية ، ما المقصد من البحث ، وما دوافع اختياره دون سواه ، والأسطر التالية تجيب عن هذا كله :

دور: الدور الطبقة من الشيء المدار بعضه فوق بعض، وعند المنطقة : توقف كل من الشئيين على الآخر والجمع: أدوار، و المدير: من يتولى تصريف أمر من الأمور كمدير الشركة والمكتب ، دار دورا ودورانا طاف حول الشيء وبه وعليه ، ودار الفلك في مداره تواترت حركاته بعضها في إثر بعض من غير ثبوت ولا استقرار^(١).

الإصلاح : مأخوذ من صَلَحَ، وَالصَّلَاحُ وَالإِصْلَاحُ نقيض الفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه ، وأصلح الدابة أحسن إليها فَصَلَحَتْ، وأصلح بينهما أو ذات بينهما أزال ما بينهما من عداوة وشقاق. استصلح الشيء طلب إصلاحه . الصَّلَاحُ: الاستقامة والسلامة من العيب.

وعليه فالإصلاح هو: التغيير إلى الأفضل والإتيان بالنافع، والعمل على إزالة الفساد والدعوة إلى الخير والاستقامة. والمصلح : هو من يتولى الدعوة إلى الاستقامة ويعمل على إزالة الفساد ويأتي الناس بما ينفعهم. قال تعالى : ﴿ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ

١. تاج العروس في جواهر القاموس ١١ / ٣١٧ المعجم الوسيط ص ٣٠٣.

مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١﴾ . والحركات الإصلاحية: الدعوات التي تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد ، في الميادين الاجتماعية المختلفة ، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني^(٢) . الاجتماعي في اللغة : مأخوذ من كلمة جمع والتي تعني ضم المتفرق بعضه إلى بعض وأخلاق الناس من قبائل شتى^(٣) . والمراد بدور المرأة في الإصلاح الاجتماعي: مجموع الأعمال والمشاركات التي قامت وما زالت تقوم بها المرأة لتغيير واقع المجتمع بعمل النافع، وإزالة الفاسد، والدعوة إلى الخير ، دون تعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية وأحكامها.

١. سورة هود الآية : ٨٨ .

٢. الموسوعة الإسلامية العامة وزارة الأوقاف المصرية ص : ١٥٩ مقال د/ محمد عمارة ط الأولى .

٣. المعجم الوجيز ص ١١٦ طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية سنة ١٩٩٠ م .

الفصل الأول : رسالة المرأة الاصلاحية ووظيفتها

الحديث عن دور المرأة في الاصلاح يدفع للتعرف عن واقعها السابق ولوعلى سبيل الایجاز .

المبحث الأول : المرأة في مجتمع ما قبل الإسلام :

لم تعرف المجتمعات القديمة حق المشاركة الاجتماعية للمرأة ، وجاء الإسلام وحال المرأة على نحو يرثي له ، ففي الجزيرة العربية : كان واقعها مريراً ، لأنها كانت :

١. سلعة تُباع وتُشترى ، تُكره على الزواج والبغاء ، تُورث ولا تُرث ، تُملك ولا تملك ، للزوج حق التصرف في مالها - إن ملكت - بدون إذنها ، وليس لها الحق في إبداء رأي أو الموافقة عليه.

٢. اغتاض المجتمع لولادتها، وتشاءم منها أعز الناس إليها ، واعتبرها بلبية تجلب العار، ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فَيَالْتَرَابٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾^(١). قال البغوي : " كان الرجل من العرب إذا وُلدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية ، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية . بنت ست سنوات . قال لأمها : زينيتها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها : انظري إلى هذه البئر، فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض " ^(٢).

٣- حرمانها من الميراث: قال سعيد بن جبير وقتادة : "كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء والأطفال شيئاً فأنزل الله : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ

١. سورة النحل الآية : ٥٨ ، ٥٩ .

٢. معالم التنزيل ج ٥ ص ٢٥

الْوَالِدِينَ الْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدُونَ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١﴾.

٤ - إباحة حلل الأباء لأبنائهم: وهذه صورة مستقبحة ، عانت منها المرأة كثيراً ؛ لأن زوجة الأب تنظر غالباً إلى ابن زوجها أنه ابنها، فكيف تكون له زوجة؟ والنفس السوية والفترة النقية تأبى هذا، فبعد وفاة الأب كان الابن الأكبر إذا وضع عباءته على زوجة أبيه عُرف أن له رغبة منها فيتزوجها ويقعد منها مقعد أبيه، وحرّم الإسلام هذا وجعله نكاحاً فاسداً، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢).

٥ - هجر الحائض: كان العرب واليهود لا يسكنون الحائض في بيت واحد أو حجرة واحدة أثناء حيضها، وسئل الرسول ﷺ عن هذا فنزل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فاعترلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ (٣). قال قتادة : (كان أهل الجاهلية لا تسكنهم حائض في بيت ولا تؤاكلهم في إناء؛ فأنزل الله تعالى في ذلك، فحرّم فرجها ما دامت حائضاً، وأحلّ ما سوى ذلك) (٤).

وفي غير الجزيرة لم يختلف الوضع كثيراً، فقد كانت المرأة الأوربية لا يحسب لها حساب ، وجاء الإسلام وبعض الناس يبحث في شأنها، هل هي إنسان لها نفس وروح ، أم لا ؟ وإذا كان لها روح هل هي روح إنسانية أم حيوانية ! وعلى فرض أنها روح إنسانية هل وضعها الاجتماعي والإنساني بالنسبة للرجل وضع الرقيق، أم شيء أرفع من الرقيق، وهل يجوز لها أن تتعلم الدين؟ هل تصح منها العبادة ؟ وانتهى بهم المطاف إلى أنها

١. تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٥٥ تفسير سورة النساء الآية : ٧.

٢. سورة النساء الآية : ٢٢ .

٣. سورة البقرة الآية : ٢٢٢ .

٤. جامع البيان ج ٤ ص ٣٧٣ .

مخلوق وجد لخدمة الرجل. فهل مجتمع بهذه الكيفية أو الطريقة في التفكير سيعطي المرأة حقا اجتماعيا، أو أي حق مدني؟ بالطبع لا^(١).

عند اليونان : كانت المرأة مزدراة رغم أنهم كانوا من أرقى الأمم حضارة، يقول أبو الأعلى المودودي عن حالة المرأة اليونانية : (فلم تكن لها في مجتمعهم منزلة أو مقام كريم. وكانت الأساطير اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى "باندورا" ينوع جميع آلام الإنسان ومصائبه)^(٢).

فلاسفة اليونان لم ينصفوا المرأة ولم يعزوا جانبها ولم يعلوا مكانتها ، وفي الفترات التي استتمعت فيها بمركز اجتماعي مرموق سواء في اليونان أو الإمبراطورية الرومانية ، لم يكن ذلك مزية للمرأة كجنس وإنما كان لنساء معدودات ، بصفتهم الشخصية ، أو لنساء العاصمة بوصفهن زينة المجالس، وأداة من أدوات الترف التي يحرص الأغنياء والمترفون على إبرازها زهواً وعُجباً ، ولم تكن موضعا من مواضع الاحترام الحقيقي كمخلوق إنساني كرمه الله ﷻ وجدير أن تكون له كرامة بصرف النظر عن الشهوات التي تحببه للرجل، ودام هذا الوضع طويلا حتى جاءت عهود الرق والإقطاع وتلتها الثورة الصناعية فبدأت تتنفس شيئا قليلا ومنيت بعدها بمهانة وكارثة أخرى هي نزولها لمقارعة الرجل في ميادين لا تناسب خلقتها وفطرتها التي فطرها الله عليها^(٣).

وعند اليهود المرأة إذا حاضت تعد نجسة ، تنجس البيت ، وكل ما تمسُّه من طعام أو إنسان أو حيوان، وبعضهم كان يطردها من بيته ؛ فإذا تطهَّرت عادت لبيتها ، وكان بعضهم ينصب لها خيمة عند بابه ، ويضع أمامها خبزا وماء، ويجعلها فيها حتى تطهر. وعند بعض النصارى المرأة ينبوع المعاصي، وأصل السيئات، وباب من أبواب جهنم، يقول القديس تروتوليان : " إنها مدخل الشيطان إلى النفس " وفي القرن الخامس الميلادي

١. راجع شبهات حول الإسلام محمد قطب ، ص ١٠٦ دار الشروق ط الحادية عشرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م

٢ . أبو الأعلى المودودي، الحجاب، ص ١٢.

٣. شبهات حول الإسلام ص ١٠٧ بتصرف.

، قرر مجمع مالكون أنها " خلو من الروح الناجية من عذاب جهنم عدا مريم أم المسيح ."

وبعد دخول أوروبا في المسيحية ظلت شعوبها تشك في طبيعة المرأة وتعتبرها كائنات مختلفا عن الرجل، وقرر الفرنسيون عام ٥٨٦ م ، أن المرأة إنسان خلق لخدمة الرجل فحسب ، ورغم تقدم فرنسا في عصر النهضة وبعد الثورة ، إلا أن قانونها ظل يعتبر المرأة قاصراً ، ونص قانون نابليون أن المرأة : ليست أهلا للتعاقد دون رضا الوصي عليها إن كانت غير متزوجة أو الزوج إن كانت متزوجة ، وأن القاصرين هم الصبي ، والمجنون والمرأة وظل قانون نابليون معمولا به في فرنسا وفي كثير من الدول الأوربية حتى عام ١٩٣٨م حين عدل واعتبر المرأة الفرنسية ذات شخصية قانونية، فيما عدا بعض القيود على المرأة المتزوجة التي لا تزال حتى الآن تخضع لزوجها في كثير من المعاملات المالية ، وبخاصة إذا كان نظام الزوجية هو نظام توحيد الأموال بين الزوجين^(١).

وقرر أحد المجامع الروسية : أنها حيوان نجس يجب عليه الخدمة فحسب، فهي ككلب عَقُور، تُمنَع من الصَّحْك ؛ لأنها أحيولة شيطان .

وعند الهنود : كان يجب على كل زوجة يموت زوجها أن يُحرق جسدها حية على جسد زوجها المحروق . . والهند بهذا نزلت بالمرأة إلى عادة أقرب لحياة الوحشوش في الغاب وهي إحراق الأرملة عند موت زوجها . وإن تركت وعاشت تصبح تحت وصاية أبنائها ، لا حق لها من التقدير كأم لهم يحرصون عليها ويحترمون رأيها.

وفي الصين : كانت مملوكة لأبيها وزوجها وولدها، وفرض عليها طاعة أبيها وأخيها، وبعد الزواج طاعتها لزوجها، وبعد وفاة زوجها طاعتها لولدها ، وكان أهلها يجتارون الزوج الذي يرغبونه بمساعدة سمسار.

١ . إنسانية الحضارة الإسلامية ص ١٤٤ ، ١٤٥ سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وفي اليابان : حكم تشريعهم أن المرأة متى عُقد قرانها على زوجها تهجر بيت أهلها هجراً تاماً وتسعى إلى توثيق صلاحها بأسرة زوجها، ولا يحق لها أن تعود إلى أهلها مهما كانت الظروف لأنها أصبحت ملكاً لزوجها ، ولا يحق لها أي تصرف كبهيمة الأنعام سواء بسواء^(١).

وخلاصة معالم وضع المرأة قبل الإسلام ما يلي :

١- إنسانية المرأة لم تكن موجودة، وإن وجدت لم تكن موضع اعتبار ، فضاعت كافة حقوقها.

٢- لم يكن لها دور مقرر تسهم به في تنظيم المجتمع بناء على انعدام إنسانيتها.

٣- انعدمت المساواة بينها وبين الرجل في الأسرة والمجتمع، ولم تتمتع بأي حق في مراحل حياتها.

٤- أهدرت شخصيتها، وأهليتها للتصرف والتملك ، فكانت غالباً لا تملك ولا ترث، وليس لها حق في الكسب أو التصرف، فضلاً عن أي حق من حقوق الملكية.

٥ - اعتبرتها بعض الحضارات والديانات لعنة ؛ لأنها أغوت آدم وأخرجته من الجنة .

كانت هذه إنسانية قوانين البشر على مر العصور، مهما حاولوا اصلاح الوضع بسن القوانين. يقول غوستاف لوبون عن تأثير الإسلام في أوضاع المرأة : (إن الإسلام قد أثر تأثيراً حسناً في رفع مقام المرأة أكثر من كثير من قوانيننا الأوروبية، وخير طريقة لنقدر التأثير الذي أحدثه الإسلام في تحسين حال المرأة في الشرق، أن نبحت عما كان عليه حالها قبل القرآن)^(٢).

المبحث الثاني : المرأة في موكب الإصلاح الإسلامي :

دور المرأة كان ولا يزال مبرزاً في مسألة الإصلاح الاسلامي، ظهر هذا الدور في وقت هضمت البشرية المرأة كل حقوقها أو جلها ، ونستهل هذا الدور بحديث أم سلمة .

١. المرأة في القديم والحديث، ج ١ ص ١٤٩ عمر رضا كحاله.

٢. حسين محمد يوسف، أهداف الأسرة والتيارات المضادة ص ٣٢.

رضي الله عنها . إذ قالت : يا رسول الله ، لا نَسْمَعُ اللهَ ذَكَرَ النساءِ في المَجْرَةَ بشيءٍ؟
فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِبِعَكُمْ
من بعض ﴾ . قال الأنصار عن أم سلمة : هي أول ظعينة قدمت علينا^(١) .

فأوضح هذا الحديث سبب نزول الآية، وأن الرجل والمرأة في التكليف والأجر سواء.
وفي قوله : ﴿ بعضكم من بعض ﴾ إفادة أن الرجل والمرأة من معدن واحد، لذا كانت
الاستجابة قبولاً للدعاء وتوجيهاً إلى مقومات المنهج الإلهي وتكليفه فهو ليس مجرد
التفكير والتدبر . وليس مجرد الخشوع والارتجاف، وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير
السيئات والنجاة من الخزي ومن النار، إنما هو العمل الإيجابي، الذي ينشأ عن هذا
التلقي، وعن هذه الاستجابة ، العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكير، والتدبر
والذكر والاستغفار، والخوف من الله ، والتوجه إليه بالرجاء . والثمرة الواقعية المرجوة لهذه
العبادة من الجميع : ذكرانا وإنائاً بلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس ، فكلهم سواء في
الإنسانية - بعضهم من بعض - وسواء في الميزان^(٢) .

ومن الظلم هضم المرأة حقها وعدم قبول عملها وإشراكها في أفعال الخير، لذا برأ
الإسلام المرأة من اللعنة التي ألصقها بها أتباع الأديان الأخرى، والله ﷻ سرد وقائع
خروج آدم وحواء من الجنة وعبر بالمشترك اللفظي ، فاستخدم ألف الاثنين في قوله: ﴿
فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾^(٣) .

وهي الصيغة التي ذكرها الله سبحانه في حديثه عن طلبهما التوبة ﴿ قالوا ربنا ظلمنا
أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾^(٤) . وألف الاثنين تدل على أن
التوبة كانت من آدم وحواء وأتت اتفاقاً في سؤال الله تعالى إياها ، وهذه دلالة على تحمل
المرأة المسؤولية وسعيها لمرضاة الله تعالى ، والبعد عن سخطه وعقابه، كالرجل . ولا تفريق

١ . تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٠ والآية من سورة آل عمران رقم ١٩٥ "

٢ . في ظلال القرآن ج ١ ص ٥٤٨ بتصرف .

٣ . سورة البقرة الآية : ٣٦ .

٤ . سورة الأعراف الآية : ٢٣ .

بين الذكر والأنثى في عمل الخير، فأصل خلق البشر نفس واحدة انبثقت من أصل واحد ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^(١) هما إذا من جنس واحد في التكوين والأصل، وليس كما ادعت بعض المذاهب أن : " الشيطان هو الذي خلق المرأة ، أو إله الشر هو الذي خلقها، وإله الخير هو الذي خلق الرجل " ^(٢). ولا تفاضل بينهما في الإنسانية، أو الخطاب التكليفي؛ لأنه جاء لهما معا دون تفضيل أو تفرقة. ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٣).

فالآية سوت بين الرجال والنساء في صفات الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والصدقة، والصوم والعفة وذكر الله تعالى، كما سوت بينهما فيما أعده الله ﷻ من المغفرة والأجر الكبير ومنحت تشريعات الإسلام المرأة كل صور الإصلاح، التي تليق بها وترفع من مكانتها وجعلتها تسهم بحظ وافر في بناء المجتمع إسهاما رائدا، فمارست ما يمارسه الرجل من أعمال ، اللهم إلا ما فرق فيه الشرع بينهما كإمامة الرجل في الصلاة ، علي سبيل المثال لا الحصر . قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾^(٤).

١. سورة النساء الآية : ١ .

٢. قضايا المرأة محمد متولي الشعراوي ص : ٩

٣. سورة الأحزاب الآية : ٣٥ .

٤. سورة التوبة الآية : ٧١ .

هذه الآية مع سابقتها أعطت المرأة حق الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدريب هدايات الإسلام، وأكد القرآن على كرامة المرأة وأنها محفوظة بحفظ الله لها، مكرمة بتكريمه ﷺ لبني آدم، وتفضيله لهم على سائر المخلوقات ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾^(١). وبنو آدم رجل وامرأة، بمثابة خلية مكونة من عنصر موجب وسالب لا يُستغني عن أحدهما، لذا فهما سواء في تكليف الشرع، والقيام بمهمة هذا التكليف وتنفيذه، والتحقق بمعنى العبودية، والاستخلاف في الأرض وعمارتهما.

المبحث الثالث : رسالة المرأة ووظيفتها في الإسلام :

ليست الرسالة التي يريدتها الإسلام من المرأة أن ترعى البيت وتطهو الطعام، وتنظف الأساس والفرش، وتحافظ على المال، وتخدم الضيف... إلخ. فهذه أعمال قد يقوم بها غيرمتزوج، أو عامل فندق من الفنادق، ليس هذا الذي من أجله خلقت، فهذه الأعمال : وظيفة، أما الرسالة فهي:

١ . التحقق بمعنى العبودية : قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٢). ومجال العبودية واسع، لذا امتن الله على أزواج رسوله، فأرشدن بقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾^(٣). وهذه الآية وضحت مجال الخيرية في صفات عدة هي : مسلمات: بما تعنيه كلمة الإسلام من استسلام كامل، وخضوع تام لله رب العالمين، يأتي سلوكها متناسبا مع العمل الذي تؤديه، على هدى الإسلام الحنيف.

١ . سورة الإسراء الآية : ٧٠

٢ . سورة الذاريات الآية : ٥٦

٣ . سورة التحريم الآية : ٥

مؤمنات : وتعني استقرار الإيمان في قلبها كاستقرار الشم الراوسي ، فتتذوق لذة الإيمان وتشهد طمأنينته ، وتسلم وجهها لله ، إيماناً كإيمان الفضليات اللاتي ذكرهن الله في كتابه : مريم عليها السلام ، وامرأة فرعون ... إلخ.

قائتات : القنوت معناه أن تكون عبادتها بروح حاضرة ، لا بالجسد وحده ، فتشعر بلذة العبادة والطاعة ، أثناء طاعتها لربها حين تقول مثلاً " خشع لك سمعي وبصري ، ومخي وعظمي ، وما استقلت به قدمي " (١).

تائبات : التوبة من ألوان رسالة العبادة فالمرء لا يسلم من الخطأ ، قال ﷺ " كل بني آدم خطاء " (٢).

واستشعار المرأة الندم على الذنب ، والخضوع والانحناء لله تعالى بالتوبة والاستغفار يجعلها ممن يصدق فيها قوله ﷺ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٣).

عابدات : حسب المسلمة أن تراجع في هذا كتاباً يتحدث عن العبادة الحقة (٤) ؛ لتدرك أن العبادة الحقيقية هي التي يملأ التفكير بالطاعة كل كيانها ، فلا تنسى حظها من النوافل مع آدائها الفرائض بشغف ، فتعيش مع القرآن بحب ودوام اتصال ، تناجى ربها بالأسحار وتجد لذة العبادة في الصيام والقيام والاستغفار ودوام الذكر ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً.

سائحات : من معاني السياحة المهجرة إلى الله تعالى ، من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أو هجر ملذات الدنيا ، فلا تسرف في ملبس ولا مطعم ولا مشرب ، وبهذا تتذكر

١. رواه مسلم رقم " ١٢٩٠ " باب الدعاء في الليل ، وأبوداود رقم " ٦٤٩ " باب ما يستفتح به في الصلاة.

٢. رواه سنن ابن ماجه رقم " ٤٢٤١ " باب التوبة ومسند أحمد رقم " ١٢٥٧٦ " مسند أنس .

٣. سورة الأعراف الآية : ٢٠١ .

٤. يراجع في هذا كتاب رسالة العبودية لابن تيمية ، لمدرج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن

جوعة الجائعين ، وعمل المحبتين فتمنى أن تُدخل السعادة على هؤلاء ، وأن تعمل مثل أولئك.

ويلاحظ أن : " هذه الصفات انتصبت على أنها نعوت لـ (أزواجاً) ، ولم يُعطف بعضها على بعض بالواو ؛ لأجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحدة منهن ولو عطف بالواو لاحتمل أن تكون الواو للتقسيم ، أي تقسيم الأزواج إلى من يثبت لهن بعض تلك الصفات دون بعض ، ألا ترى أنه لما أريدت إفادة ثبوت إحدى صفتين دون أخرى من النعتين الواقعين بعد ذلك عطف بالواو ، فقال " ثيبات وأبكاراً ؛ لأن الثيبات لا يوصفن بأبكار . والأبكار لا يوصفن بالثيبات"^(١).

٢ - تبليغ رسالة الله للعالمين : المعلم الثاني من معالم رسالة المسلمة ، تبليغ رسالة الله وتحمل عبء الدعوة ، وهي وظيفة المؤمنين ، وشرط تمام الإيمان ، ذلك أن الله تعالى قرر في كتابه أن المؤمنين أشد الناس حبا لله تعالى فقال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾^(٢) . ومن لا يحس بهذا الحب فليس بمؤمن ، وعلى أقل تقدير لا يجد حلاوة الإيمان قال ﷺ : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ..."^(٣).

ووظيفة الرسول ﷺ والذين اتبعوه بإحسان ﴿ قم فأنذر ﴾^(٤) . ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٥) . يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ : قل : يا محمد ، هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاة

١. التحرير والتنوير ٢٨ / ٣٦١ محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧

م.

٢. سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

٣. رواه البخاري باب ما جاء في حلاوة الإيمان رقم " ١٢ ، ٥٦٩٤ ، ٦٥٤٢ " .

٤. سورة المدثر الآيتان : ١ ، ٢ .

٥. سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

إلى طاعته، وترك معصيته سبيلي، وطريقي ودعوتي، أدعو إلى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي^(١). ففي الآية أمر للرسول ﷺ أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بما على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي^(٢).

فسبيل الرسول ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين من الرجال والنساء، الدعوة لدين الله، ومن ادعى أنه من أتباع محمد ﷺ فليدع إلى الله ويمارس تبليغ الدعوة ويساندها بكل ما يملك، وامتألت صفحات التاريخ المشرق بأسماء نسوة داعيات بلغن رسالة الله للعالمين، عرفن رسالتهن فقممن بما، فأمر المؤمنين خديجة رضي الله عنها: "أَوَّلُ مَنْ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَدَعَا إِلَيْهِ وَأَعَانَ عَلَى ثُبُوتِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالتَّوَجُّهُ التَّامَّ؛ فَلَهَا مِثْلُ أَجْرٍ مِنْ جَاءَ بَعْدَهَا، وَلَا يُقَدَّرُ قَدْرَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ"^(٣).

وأم سليم رضي الله عنها، خطبها أبو طلحة قبل أن يسلم فقالت له: يا أبا طلحة ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبد خشبة نبتت من الأرض، نجرها حبشي بني فلان؟! قال: بلى! قالت: فلا تستحي من ذلك؟! فإنك إن أسلمت لم أرد منك صداقاً غيره حتى أنظر. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالت: يا أنس! قم فزوج أبا طلحة...^(٤).

فهذا موقف يوضح أن أم سليم جعلت مهرها الإسلام، مع قيامها بمهمة الدعوة إلى الله، وكانت دعوتها سهلة مقنعة؛ لأنها استخدمت الدليل العقلي، فاقنتع الرجل وشعر

١. تفسير الطبري ج ١٦ ص ٢٩١ بتصرف.

٢. تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٤٢٢.

٣. فتح الباري لابن حجر ج ١١ ص ٧٨.

٤. مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٤٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ١٣٢، وقال الحاكم حديث

صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

بتفاهة معبوده من دون الله ، وهذه صورة للحكمة في الدعوة إلى الله ، وصار حوارها وموقفها مصدراً لدعوة وهداية الناس .

٣ . إصلاح المجتمعات بتوجيهها إلى الطريق المستقيم :

حين تندلع الفتن ويشتد هيبها ، تهب رياح التغيير يأتي دور المصلحين الذين استشعروا واجبههم نحو مجتمعهم ؛ لأنهم عرفوا الحقائق التي تدفعهم لهذا الإصلاح ، فيصلحون ما أفسد الناس ، ويمنعونهم من إهلاك أنفسهم وغيرهم والأخذ على أيديهم ، ويأتي دورهم رغبة منهم في دفع المصير المهلك عن أنفسهم وعن الناس ، كما يأتي دورهم في إقامة السدود من قلوبهم وأرواحهم وجوارحهم وكلماتهم ، وأفعالهم أمام طوفان الغرائز والشهوات والأهواء التي أفاضها إبليس وجنده على الإنسان ، ليمنعوا بهذا الجهاد الإصلاحي أنفسهم من الغرق ، ويستنقذوا من يكتب الله له النجاة ممن أضلهم الشيطان ، وسول لهم الخروج عن السنن الإلهية وخرق سفينة المجتمع^(١) .

والنساء عليهن واجب الإصلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأعمال الاجتماعية الأخرى ، ومشاركة النساء مع النبي ﷺ في أعمال إصلاح المجتمع ، دليل عملي على هذا ، فخرجن معه في الغزو ، يسقين الماء ويجهزن الطعام ويضمدن الجراح ، فأم عطية مثلاً : غزت مع النبي ﷺ سبع غزوات تخلف الرجال في رحالهم ، وتصنع لهم الطعام^(٢) .

٤ . التزام التكليف الرباني لها :

كلف الله المرأة بما كلف به الرجل ، فحين نزل قوله تعالى ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾^(٣) جمع ﷺ عشيرته الأقربين رجالاً ونساء ، ودعاهم بقوله : " يا بني عبد مناف اعملوا فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، إلى أن قال : يا صفية عممة رسول الله اعلمي

١ . راجع وظيفة المؤمنين في التصور الإسلامي د . محمد نعيم ياسين ص ٥٧ ، دار الوفاء ط الرابعة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

٣ - رواه مسلم ج ٣ ص ١٤٤٧ ، وستأتي نماذج كثيرة تبين هذا فيما بعد إن شاء الله تعالى .

٣ . سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

فإني لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً، لا يأتييني الناس يوم القيامة بالأعمال وتأتوني بالأنساب من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"^(١).

فوجه خطابه للرجال والنساء؛ لأنهم في الخطاب والتكليف سواء. " فالتشريع الإسلامي كان نبيل الغاية والهدف حين أعطى المرأة حقوقها من غير تملق لها أو استغلال لأنوثتها ، فقرر لها كل ما تتم به كرامتها الحقيقية من حيث الأهلية القانونية والمالية، وحد من نطاق اختلاطها بالرجال وغشيانها المجتمعات لمصلحة الأسرة والمجتمع، ولصيانة كرامتها من الابتذال، وأنوثتها من الاستغلال، مع رعاية أن تكون حقوقها وأعمالها وسلوكياتها الاجتماعية والإصلاحية منسجمة مع فطرتها وطبيعتها"^(٢).

وخلل المجتمعات . غالباً . ينجم من تعطيل دور المرأة كأداة فاعلة، فعندما يضمحل دورها في المجتمع ويتلاشى، وتبتعد عن القيام بدورها يستطيع الجهل مع الخرافة والشعوذة والدجل أن يسهموا بشكل كبير وفاعل في تدني وضعها ومستواها ثقافياً وعلمياً واجتماعياً واقتصادياً، خاصة إذا وجدت البدع والخرافات أرضاً خصبة داخل المجتمعات التي ابتعدت عن الدين، أو غيّبت أحكام الدين وشرائعه عن واقع حياتها، أو الانسياق وراء الثقافة الاستهلاكية الغربية والجرى وراء مستحدثات الأفكار والمصنوعات لتظهر المرأة بصورة المتمدنة، ومن ثم تحويلها في مصانع الأفكار من كائن مكلف يتمتع بالكرامة الإنسانية والمؤهلات الدعوية وخصائص القيام بحمل الأمانة والاستخلاف في الأرض إلى مخلوق مشوه يقوم بوظائف التعدي على دين الله وتشريعاته السامية، فضلاً عن التلفت يمينا وشمالا لاستجداء حقوقها عند ثقافات مخالفة للدين الإسلامي"^(٣).

١ . صحيح مسلم رقم " ٤٨٧٦ " فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

٢ . د . مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص ٤٤ (بتصرف) مؤسسة الرسالة .

٣ . راجع د . سارة بنت عبدالحسن بن جلوي آل سعود محاربة الإسلام من داخله، ص ٣٥.

٥ . إعداد جيل من الذرية الصالحة والقادة المصلحين :

حسن تربية الأولاد وإعدادهم مهمة الرجل والمرأة . قال ﷺ " وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ... " (١) وقال شوقي :

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق
ليست مهمة الأم تغذية الجسد والعمل على وقايته من الأمراض فحسب، فرسالها أجل من ذلك وأعظم، رسالتها تقوية الإيمان وبناء الشخصية، وتنمية العقل، وحفز الهمم نحو المعالي، وفي التاريخ الكثير من نماذج الأمهات اللاتي أحسن تربية أبنائهن ، فالإمام مالك بن أنس يحكي عن أمه قائلاً : " كانت أمي تلبسني الثياب وتعممني وأنا صبي، وتوجهني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن وتقول : يا بني ائت مجلس ربيعة فتعلم من سمته وأدبه ، قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه" (٢).

هذه امرأة عرفت دورها في الحياة، ورسالها في تربية وإعداد الجيل، وعرفت أن الأدب قرين العلم ، ولا قيمة لعلم بلا أدب، فصنعت رجالاً صنع أمة " إمام دار الهجرة " لقد صبغت هذه الكلمة حياة مالك حقيقة لا قولاً، واقعاً لا خيالاً، فغدا مدرسة في الأدب ينهل طلابه من هيبته وسمته، وتقتبس الأمة من سيرته. وأم الإمام الشافعي كذلك، والتاريخ مليء بأسماء عدد كبير من علماء الأمة المشهورين الذين توفي آباؤهم صغاراً فتعهدتهم حتى غدوا علماء من الأعلام المبرزين.

٦ - التمكين لدين الله :

خاتمة التكاليف ، وبه يتحقق معنى الاستخلاف في الأرض ، لأنه رسالة المسلم للعالم قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

١. صحيح البخاري ج ٣ ص ٤١٤ رقم " ٨٤٤ " عن ابن عمر .

٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٣ / ٤ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري ط مؤسسة قرطبة.

كَمَا اسْتَخْلَفَ الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُمَّنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾.

وبالتمكين يكون الدين كله لله ، وينتشر نور الإسلام ويعم الآفاق وتعلو راية التوحيد على كل الرايات ، ويتحقق وعد الله لعباده المؤمنين ، وتحقق عالمية هذا الدين ، فلا يخلو بيت حجر ولا شجر ولا وير إلا وتصله رسالة الإسلام. والعمل للوصول لمرحلة استخلاف الله للصالحين من عباده في الأرض ، يحكمون فيها بشريعته ، ويطبقون منهجه ونظامه الذي ارتضاه لعباده ، من أسباب خيرية هذه الأمة وقيادتها وريادتها.

ومن صور التمكين ما أخبر به الرسول ﷺ الصحابي الجليل خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ بِقَوْلِهِ : " وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الدِّئِبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " (٢).

وهو المهمة التي عبر عنها ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة " (٣) ، وبهذا لو اتحدت مهمة الجنسين ما كانت هناك ضرورة إلى أن ينقسم حديث الناس وفكرهم عن الجنس إلى نوعين ذكر ، وأنثى ، فهما آية كونية موجودة في الكون ، كقضية الزمن ، قسمان : ليل ونهار ، الزمن كجنس وعاء للأحداث ، وكنوع : للنهار مهمة ، وللليل مهمة ، إن حاولنا أن نسوى بين مهمة الليل ومهمة النهار ، أفسدنا نظام الكون (٤).

١. سورة النور الآية : ٥٥ .

٢. صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٤٤ رقم " ٣٣٤٣ " .

٣. تاريخ الأمم والملوك ٢ / ٤٠١ محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ، دار الكتب العلمية - بيروت والطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .

٤. قضايا المرأة المسلمة الشيخ محمد متولي الشعراوي ص : ٧ دار المسلم ط الأولى سنة ١٤٠٢ هـ /

الفصل الثاني : مشاركة المرأة في الاصلاح المجتمعي قبل الهجرة

أسلمت المرأة ودعت بنات جنسها، لأن هذه الأمة أمة دعوة للخير والعدل ، وللكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(١) عام للرجال والنساء، وهو حقيقة أبطلت دعاوى تمييز الرجل عن المرأة ، لأنهما سواء أمام تكليف الشرع ، قال ﷺ : " النساء شقائق الرجال"^(٢) وأعطت مسلمة الجليل الأول نموذج التطبيق العملي لهذا ، فشاركت في مسيرة الإصلاح على النحو التالي :

المبحث الأول : المرأة والدعوة إلى الله :

شاركت المرأة بأدوار عدة لنصرة الإسلام واستصلاح حال المجتمع المكّي ، فعندما تأزم وضع المسلمين وضيق عليهم تحملت في سبيل الله تعالى كما تحمل الرجل ، وشاركت في عملية الاصلاح ، واختصت بأمر منها :

« أول مسلم : كرم الله النساء فكان أول قلب يخفق بالإسلام والدعوة إليه ، ومؤازرة رسوله ﷺ ، قلب أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، والتي قال عنها رسول الله ﷺ " آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبنى الناس وواستني بما لها إذ حرمني الناس ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس"^(٣).

قال عنها ابن حجر : " زوج النبي ، وأول من صدقت ببعثته مطلقا "^(٤)، وقال ابن إسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به فخفف الله بذلك

١. سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

٢. رواه أبو داود في سننه رقم " ٢٠٤ " باب في الرجل يجد البلة في منامه ، والترمذي في سننه رقم " ١٠٥ " .

٣. رواه الإمام أحمد في مسنده وقال الهيثمي في المجمع إسناده حسن ج ٩ ص ٢٢٧ .

٤. الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الجليل ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .

، تحقيق : علي محمد الجاوي.

عن رسول الله فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من الرد عليه فيرجع إليها إلا تشبته وتهون عليه أمر الناس^(١).

جاءها رسول الله يرجف فؤاده ويقول "زملوني زملوني غطوني غطوني" وكان خائفاً من هذا الشيء الجديد الذي لم يكن يرجوه ولا يتوقعه ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾^(٢).

فأخذت بيده وثبتت فؤاده وقالت له تلك الكلمات الناصعة الحكيمة " والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر"^(٣). فعرفت بفطرتها وثاقب فكرها أنه ﷺ في سنن الله لا يمكن أن يخزيه ربه ، وأن الذي رآه لا يمكن أن يكون شيطاناً فلماذا تخاف ، وذهبت معه لابن عمها ورقة بن نوفل الذي زاده طمأنينة وبقيناً على يقين، هذا دور المرأة وصوت الإسلام الذي كان مع محمد ﷺ .

◀ تبليغ الدعوة في صفوف النساء:

لم تقتصر مهمة التبليغ على الرجال ، وكان هناك نماذج مشرقة ومشرفة للمسلمات في ميدان التبليغ، ومن هؤلاء النسوة :

أم شريك . رضي الله عنها .: قامت بالدعوة في أوساط نساء مكة ، رغم محاربة قريش الدعوة والمؤمنين بها ، فعن ابن عباس ؓ قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة ، وكانت تحت أبي العكر الدوسي، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها، وقالوا : لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا لكنا سنردك إليهم ، قالت فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني ، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أو ثقبوني

^١ . السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٧٧ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ط ١٤١١ هـ ، بيروت.

^٢ . سورة القصص الآية : ٨٦.

^٣ . متفق عليه اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١ / ٤٨ محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث مصر ،

عن أم المؤمنين عائشة.

في الشمس، واستظلوا هم منها ، وحبسوني عن الطعام والشراب ، فبيناهم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس، إذا أنا ببرد شيء على صدري فتناولته ، فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ، ثم نزع مني، فرفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ، ثم رفع ثم عاد ، فتناولته ثم رفع مراراً، ثم تركت فشربت حتى رويت ، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي ، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ، ورأوني حسنة الهيئة ، فقالوا لي : انحلت فأخذت سقاءنا فشربت منه ؟ قلت : لا والله ، ولكنه كان من الأمر كذا وكذا ، قالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا ، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها ، فأسلموا عند ذلك^(١).

والشاهد: أنها آمنت وقامت بتبليغ الدعوة ، فدخلت على نساء قريش تدعوهم إلى الله ورسوله ، وتحملت في سبيل ذلك العذاب الكثير، ولصدقها مع الله انتهى الأمر بإسلام قومها.

وموقف آخر : امرأة عذبتها سيدتها، وعلى الرغم من هذا تخدمها هي وابنتها، بعد حربتهما طمعا في إسلامها وبيانا لأثر الإسلام في نفوس أتباعه ، فالنهديّة وابنتها كانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما أبو بكر الصديق ﷺ، وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها، وهي تقول : والله لا أعتقكما أبدا، فقال أبو بكر: حلا يا أم فلان، قالت: حلا، أنت أفسدتهما فأعتقتهما، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده عليها؟ قال : أو ذاك إن شئتما^(٢).

وفي رواية أنها قالت لأبي بكر: " لا حتى أعمله لها "^(٣). هذه السيدة لم تكف عن تعذيبهما بعد، وما زالتا المرأتان تشعران بألم العذاب والإهانة، لكنهما استشعرتا المسؤولية

١. صفة الصفوة ج ٢ ص ٥٣ ، ٥٤ .

٢. فضائل الصحابة ج ١ ص ١٢٠ .

٣. الطبقات الكبرى ٨ / ٢٥٥ . دار صادر - بيروت .

الدعوية لتبليغ هذا الدين ونشره ، فنسيتا الإيذاء والتعذيب والسُّخرة في العمل ، وأضحى ما يشغل بالهما دعوة هذه السيدة ، بهذا الموقف العملي .

﴿ التعرض للتعذيب والثبات على الحق :

سنة دعوات الإصلاح أن يؤذى أصحابها ويضطهدوا، وأن يقف جهل الناس بدعوتهم عقبة أمامهم ، تلك سنة الله تعالى، ولم تعرف الجزيرة العربية قوما أوذوا وعذبوا في سبيل الله مثل أصحاب رسول الله ﷺ ، وعذب النساء ، وكان لهن حظ وافر من الجهاد التبليغي . تحمل الإيذاء من أجل تبليغ دعوة الله . ومنهن على سبيل المثال :

١ . زنيرة : مولاة أبي بكر الصديق ﷺ ، وأحد السبعة الذين عذبوا في سبيل الله فاشتراهم أبو بكر وأعتقهم ، وكانت مولاة لبني عبد الدار ، فلما أسلمت عميت، فقال المشركون أعمتها اللات والعزى لكفرها باللات والعزى ، فرد الله عليها بصرها^(١) .

٢- أم عبيس: عذبت وأوذيت في الله كثيراً، عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر الصديق ﷺ أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة : بلال ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة، وجارية ابنا المؤمل ، والنهدية وابنتها ، وأم عبيس^(٢) .

٣ . جارية بنت عمرو بن مؤمل : كان عمر بن الخطاب قبل اسلامه يعذبها ليردها عن الإسلام، فإذا فتر يدعها ، ويقول : والله ما أدعك إلا سامة ، فتقول : كذلك يفعل بك ربك^(٣) . وردها على عمر بهذا ، دليل الثبات على الحق والثقة في المنهج وصحة الطريق، ودليل أن قوة الإيمان أعلى وأقوى من سياط التعذيب، فنور الحق في القلب مع حلاوة التوحيد أنستها مرارة التعذيب .

﴿ أول شهيد في الإسلام :

١. الاستيعاب ج ٤ ص ١٨٤٩ ، الإصابة ج ٧ ص ٦٦٤ .

٢. راجع الإصابة ج ٨ ص ٢٥٧ .

٣. الطبقات ج ٨ ص ٢٥٦ .

اشتد ايداء المشركين للمسلمين ، وضيقوا عليهم وحين كان يُعرف بإسلام امرأة، يصب عليها جام العذاب ، ومن المعذبات في سبيل الله ، المجاهدات الصابرات سمية بنت خياط ، سابع سبعة أسلموا يقول عنها ابن الجوزي : مولاة أبي حذيفة بن المغيرة ، وهي أم عمار بن ياسر ، أسلمت بمكة قديما ، وكانت ممن يعذب في الله ﷻ لترجع عن دينها فلم تفعل ، فمر بما يوما أبو جهل قطعنها في قُبَلها ، فماتت وكانت عجوزا كبيرة ، فهي أول شهيد في الإسلام رحمها الله ، وعن مجاهد قال : أول شهيد كان في الإسلام استشهد أم عمار^(١).

◀ حفظ سر الدعوة :

دواعي العمل الإصلاحي أن تكون له أسرار ، خاصة في مهده ، وكل دعوة اصلاحية ناشئة لا بد لها من فترة سرية تمر بما حتى يتم تأسيسها وبناء قواعدها وتماسك لبناتها ، وهذه بطبيعة الحال تحتاج لحفظ سرها حتى يشتد عودها وتقوى ، وحفظ سر الإسلام في مهده وسر هذه الدعوة، نساء فضليات من ذوي الهمم العالية والعزائم الوثابة ذكرتنا بقول الشاعر :

فلو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهِلال

ومن شواهد استكتام المرأة وحفظها لسر الدعوة ما يلي :

. أم جميل بنت الخطاب رضي الله عنها: قام أبو بكر ﷺ خطيبا ، فدعا إلى الله ﷻ وإلى رسوله ، فنار المشركون عليه وضربوه ضربا شديدا ، وفي نهاية الموقف كما حكى كتب السيرة أن أبا بكر ﷺ تكلم آخر النهار، فلما خلت به أمه جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما لي علم بصاحبك ، قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فسليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ، قالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن تحبين أن أمضي معك

إلى ابنك فعلت ، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا، فضربت أم جميل وأعلنت بالصياح ، وقالت: والله إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك ، قال : فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلا عين عليك منها ، قالت : سالم صحيح ، قال: فأين هو؟ قالت : في دار الأرقم، قال : فإن لله علي ألا أذوق طعاما ، أو أشرب شرابا حتى آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتنا حتى إذا هدأت الرجل ، وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتهما على النبي ﷺ^(١).

نسبية بنت كعب الأنصارية : برز اسمها في حفظ سر الدعوة ، يوم العقبة الكبرى ، فقد شاركت فيها رغم سريتها. فعن كعب بن مالك ؓ قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا... ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق... وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا، فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا، نُسبية بنت كعب، وأسماء بنت عمرو، فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب.

هذه بيعة كانت سرية ، فالصحابة ؓ تسللوا حتى لا يعلم بهم أحد. وتمت في ظروف غاية الصعوبة، وكانت تمثل تحدياً خطيراً وجريئاً لقوى الشرك في ذلك الوقت؛ ولذلك كان التخطيط النبوي لنجاحها في غاية الإحكام والدقة على النحو التالي:

سرية الحركة والانتقال لجماعة المبايعين، حتى لا ينكشف الأمر، فقد كان وفد المبايعات المسلم سبعين رجلاً وامرأتين، من بين وفد يثري قوامه نحو خمسمائة، مما يجعل حركة هؤلاء السبعين صعبة، وانتقالهم أمرًا غير ميسور، وقد تحدد موعد اللقاء في ثاني أيام التشريق بعد ثلث الليل، حيث النوم قد ضرب أعين القوم، وحيث قد هدأت الرِّجْل،

١. معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني ج ٢٤ ص ١٥٣ بتصرف.

كما تم تحديد المكان في الشعب الأيمن، بعيدا عن عين من قد يستيقظ من النوم لحاجة. والخروج المنظم لجماعة المبايعين إلى موعد ومكان الاجتماع، فخرجوا يتسللون مستخفين. فلم يتخلف أحد في بيعته ﷺ حتى المرأتان بايعتا بيعة الحرب، وصدقنا عهدهما، فأما نسيبة بنت كعب فسقطت في أحد، وقد أصابها اثنا عشر جرحًا، منها جراح عميقة كما شهدت بيعة الرضوان ، ومعركة اليمامة ، وأما المرأة الثانية فأسماء ابنة عمرو من بني سليمة قيل: هي والدة معاذ بن جبل، وقيل: ابنة عمة معاذ بن جبل^(١).

◀ مناصرة الدعوة بالمساهمات المالية :

أبرز نموذج لهذا في تلك الفترة ، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، في وقت احتاجت فيه الدعوة للمال لم تبخل بما لها سخرته في خدمة الدعوة منذ أول يوم ، ووضعت جميع ما تملك تحت تصرف صاحب الدعوة ﷺ ، حتى مدحها وأثنى ﷺ عليها ما لم يثن على غيرها ، فعن عائشة رضي الله عنها: قالت كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يوما من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها، فغضب ثم قال : لا والله ما أبدلني الله خيرا منها آمنت إذ كفر الناس وصدقني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس"^(٢).

المبحث الثاني : المرأة والهجرة في سبيل الله :

واجهت النسوة في مكة شداً ومحن أظهرت معدنهن الطاهر وصبرهن العريق، وضربن مثلاً رائعاً في الشجاعة والإقدام للحفاظ على الدين ، والسير بالدعوة قدماً ، حتى شاركت في الهجرات كلها ، متحملة مشقة السفر وعناء الطريق وألم الغربة ، ومن ذلك :
أولاً : المشاركة في الهجرة الأولى للحبيشة :

١. السيرة النبوية للصلاحي ج ١ ص : ٢١٦ وما بعدها

٢. الإصابة لابن حجر ٧ / ٦٠٤ .

في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة المحمدية ، الموافق سنة ٦١٤ م ، كان الفوج الأول من أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا إلى الحبشة مكونا من عشرة رجال إلى اثني عشر رجلا ، وخمس نسوة هن :

- ١ . رقية بنت رسول الله ﷺ ، زوجة عثمان بن عفان ؓ .
- ٢ . سهلة بنت سهيل بن عمرو ، زوجة أبي حذيفة بن عتبة .
- ٣ . أم سلمة هند بنت أبي أمية ، زوجة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي (أبو سلمة) .

٤ . ليلى بنت أبي حثمة ، زوجة عامر بن ربيعة .

٥ . أم كلثوم بنت سهيل ، أخت أبي جندل ، زوجة أبي سبرة بن أبي رهم .

ونزلوا مصوع . ميناء بإريتريا حاليا اسمه ميناء باضع . في طريقهم إلى مقر النجاشي في مكان يُسمى " رأس مدر " وهي محرفة من رأس المدن " لأن الصحابة لما نزلوا من البحر قابلتهم هذه المدينة فقالوا : هذه رأس المدن^(١) .

ثانيا: المشاركة في الهجرة الثانية للحبشة:

أواخر السنة السادسة للبعثة ومطلع السابعة ، قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب ؓ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه ، والنسوة اللاتي هاجرن مع أزواجهن هن :

- ١ . أسماء بنت عميس بن النعمان زوجة جعفر بن أبي طالب .
- ٢ . رقية ابنة رسول الله ﷺ زوجة عثمان بن عفان .
- ٣ . فاطمة بنت صفوان بن أمية زوجة عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية .

١. راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٦٤ ، إنسانية الحضارة الإسلامية ، المؤتمر السابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص : ٩٤٨ ، مقال سماحة الشيخ الأمين عثمان الأمين ، مفتي آريتريا .، وذكر الشيخ أن في مديرية سراي منطقة قنفا في آريتريا يوجد محل يقال دفن فيه سقط للسيدة رقية بنت رسول الله ﷺ أيام هجرتها مع عثمان بن عفان ؓ إلى الحبشة كما يوجد جبل يُسمى جبل الصحابة .

- ٤ . أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، ويقال همينة بنت خلف .
- ٥ . أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، زوجة عبيد الله بن جحش(*) .
- ٦ . بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب ، زوجة قيس بن عبد الله .
- ٧ . أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة ، زوجة جهم بن قيس بن عبد شريحيل .
- ٨ . رملة بنت أبي عوف ، زوجة المطلب بن أزهر بن عبد عوف .
- ٩ . ربيعة بنت الحارث بن جبلة بن عامر ، زوجة الحارث بن خالد بن صخر بن عامر .
- ١٠ . أم سلمة بنت أبي أمية . أم المؤمنين فيما بعد . زوجة أبي سلمة بن عبد الأسد بن .
- ١١ . فاطمة بنت الجلل بن عبد الله بن أبي قيس ، زوجة حاطب بن الحارث بن معمر .
- ١٢ . فكيهة بنت يسار ، زوجة حطاب بن الحارث .
- ١٣ . حسنة ، زوجة سفيان بن معمر بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح .
- ١٤ . ليلى بنت أبي حثمة بن غانم ، زوجة عامر بن ربيعة حليف لآل الخطاب .
- ١٥ . أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، زوجة أبي سبرة بن أبي رهم .
- ١٦ . سودة بنت زمعة بن قيس ، . أم المؤمنين فيما بعد . زوجة سليط بن عمرو .
- ١٧ . عمرة بنت السعدي بن وقدان ابن عبد شمس ، زوجة مالك بن زمعة بن قيس^(١) .

(*) ارتد عن الإسلام هذا الرجل وتزوج رسول الله بامرأته ، وصارت بذلك أما للمؤمنين .

١ . راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٦٥ - ١٧٠

وعدد النساء في هذه الهجرة وفي تلك الفترة يوحى بفاعلية دور المرأة ومشاركتها فيما يصلح البشرية.

ثالثا : الهجرة للمدينة المنورة وأدوار المرأة فيها :

هاجرت المرأة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، فأسهت بدور فاعل في بناء المجتمع المسلم الجديد، وكان لها مشاركات في أحداث الهجرة ووقائعها وقامت بأدوار كثيرة فيها ، تدل على استعدادات فطرية ، وقدرات وسمات شخصية ونفسية ... إلخ. ومنها :

﴿ حضور الاجتماعات المهمة " بيعة العقبة الكبرى" :

عن كعب بن مالك قال: " وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ... حتى اجتمعنا في الشعب ثم العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نساءنا ..."^(١). والرواية ذكرت مشاركة المرأتين في البيعة وحضورهما ، وهذا دليل على أن للمرأة الحق في حضور الاجتماعات المهمة التي تخص الدعوة ، وما من شأنه أن يؤخذ فيه قرار يعود نفعه على المجتمع في جميع فتراته العصبية وغيرها ، وليس هناك ما يمنع من إبداء رأيها في هذا الموطن لو كان لها رأي ، وإذا حضرت ووافقت على ما اتفق عليه الحضور ، وما تم من مداورات وتبعه من قرارات ، يعد رأيا ومشاركة إيجابية.

﴿ حفظ سر الهجرة ومساعدة الرسول ﷺ وصاحبه :

لمع في سماء الهجرة دور عظيم لأم المؤمنين عائشة وأختها أسماء ذات النطاقين رضي الله عنهما ، حيثساهمتا في تموين الرسول ﷺ وصاحبه وهما في الغار بالماء والغذاء.

الموقف الأول تقول عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ لا يخطئه أحد طرفي النهار أن يأتي بيت أبي بكر، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة والخروج من مكة من بين ظهرائي قومه ، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها ، فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت : فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره ، وليس

عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ : أخرج عني من عندك ، قال : يا نبي الله إنما هما ابنتاي ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ، قال : إن الله ﷻ قد أذن لي بالخروج والهجرة ... ، والشاهد أن رسول الله ﷺ باح بالسر أمام عائشة وأسماء ، فحفظتاه ولم يتسرب خارج البيت ، وكان لهما بعد ذلك دور في الهجرة وأحداثها .

الموقف الثاني : لما وصلا الغار كانت أسماء تأتيهما من الطعام . إذا أمست . بما يصلحهما ، فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ..^(١) . وتحملت أسماء الإيذاء ولم تبح بأي شيء تعرفه ، فعنها قالت : " ولما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ أنانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فخرجت إليهم ، فقال : أين أبوك؟ فقلت : والله لا أدري أين أبي ، فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم وجهي لطمة خرج منها قرطي ، ثم انصرفوا "^(٢) .

وموقف ثالث لها تقول فيه : لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر ، حمل أبوبكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ، فأتاني جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : إن هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه ، فقلت : كلا يا أبت قد ترك لنا خيرا كثيرا ، فعمدت إلى أحجار فجعلتهن في كوة البيت ، وكان أبو بكر يجعل أمواله فيها وغطيت على الأحجار بثوب ، ثم جئت فأخذت بيده فوضعتها على الثوب ، فقال : أما إذا ترك هذا فنعم ، قالت : ووالله ما ترك قليلا ولا كثيرا^(٣) .

ويتجلى في هذا الموقف لهذه الشخصية رضي الله عنها سرعة البديهة وقوة الحاضرة ، فقد سكن قلب جدها الضربير ، بالأحجار التي كومتها فلم يتكلم في حق ابنه ولا صاحبه ، ولم تترك للمشركين مدخلا ينالون فيه من الصديق ﷺ أو من الإسلام ونبيه ﷺ كقولهم مثلا : انظروا من حرر العبيد والإماء يترك بناته دون مال لهن ، ودون ودون ... إلخ

١. السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٣ ، تاريخ الطبري ج ١ ص ٥٧٠ .

٢. السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٥٩ .

٣. المستدرک ج ٣ ص ٦ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠ تحقيق : مصطفى عبد

القادر عطا ، وقال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

.ويتبين منه أيضا مدى حسن تربية الصديق لأولاده فقد ورثهم إيمانياً وبقيناً وثقة لا حد لها ، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالى الأمور، ولا تلتفت لسفسافها فكان مثالا يحتذى للبيت الذي يؤمن برسائله ويعمل لدعوته ويتحمل من أجلها .
وكانت ذات عقلية تحسن التصرف والتخلص من المواقف الصعبة ، تخرج من الأزمات ، وتجتاز العقبات والمشاق التي تواجهها مع عزة النفس ، فالسائل جدها لكنها لم تخبره بحالهم ، ولم تكثر من العويل والضجيج والصياح والشكوى ، وفي هذادلالة على قوة الإرادة وحسن الإدارة وكيفية التعامل مع المواقف الحرجة.

◀ الهجرة إلى المدينة : من المهاجرات إلى المدينة جملة من النسوة منهن :

- ١ . ليلى بنت أبي خيثمة ، زوجة عامر بن ربيعة ، أول ظعينة قدمت المدينة .
- ٢ . أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ولم تكن تزوجت بعد .
- ٣ . أم حبيب بنت جحش ، أخت أم المؤمنين زينب ، وكانت زوجة لعبد الرحمن بن عوف

- ٤ . جذامة بنت جندل ، زوجة أنيس بن قتادة " شهد بدرًا ، واستشهد بأحد " .
- ٥ . أم قيس بنت محسن ، " أمية بنت محسن " أخت الصحابي الجليل عكاشة بن محسن .

- ٦ . أم حبيب بنت ثمامة .
- ٧ . آمنة بنت رقيش .
- ٨ . سخبرة بنت تميم .
- ٩ . حمنة بنت جحش ، زوجة مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وأخت أم المؤمنين زينب .
- ١٠ . أم المؤمنين أم سلمة ، وهذه هجرتها الثانية ، فقد سبقت هجرتها من قبل إلى الحبيشة .

- ١١ . البيت النبوي : فبعدهما هاجر الرسول ﷺ ووصل إلى المدينة واستقر فيها ، بعث زيدا ومعه أبا رافع مولاه ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ليأتياه بأهل بيته ، فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وأمه بركة،

المكناة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر فيهم عائشة وأسماء، فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان . أما رقية فقد هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان^(١).

وهكذا يبرز دور المرأة في إقامة دولة الإسلام، بمشاركتها في الهجرة بسرية تامة والخروج من مكة، علي ما فيها من مشقة وتعب، ومفارقة الأهل والبلد، شاركت حين شعرت بأهمية تواجدها لإقامة المجتمع الفاضل المتكامل، وإعداد الجيل الذي يقي دولة الإسلام خطر الأعداء، وينشر دين الله في العالمين.

الفصل الثالث : دور المرأة في مجتمع المدينة

لا يعيش الإنسان معزولا عن مجتمعه الرجل والمرأة في ذلك سواء، والربط الاجتماعي قد لا يخص الأفراد وحدهم، بل يلزم الحكومات أن توجد متنفسا ووسائل لهم، هذا حق الرعاية علي الراعي، وأن تقوم الدولة بتوفير مؤسسات للخدمات الاجتماعية وتشجيعها، انطلاقا من شمولية الاسلام ومساواته في الحقوق والواجبات بين ركني المجتمع الذكر والأنثى وهذا ما تم.

المبحث الأول : المؤسسات الاجتماعية ومشاركتها فيها :

كانت النقلة الجديدة إلي المدينة المنورة إيذانا بقيام دولة الإسلام الأولى، وما أن احتضنت قلوب أهل المدينة وربوعها رسول الله ﷺ حتى بدأ ﷺ بوضع نظام للنموذج الحضاري والاجتماعي وكانت نواته واضحة في بناء المؤسسات العبادية والاجتماعية من أول يوم وهي :

❖ المؤسسة العبادية الأولى : (المسجد) :

١. هذه الأسماء جمعت من عدد من مراجع السيرة النبوية المباركة، ابن هشام والطبري والسيرة الحلبية.

إضافة لكون المسجد مكانا للعبادة فقد كان مؤسسة ومركزا لحفظ القرآن وتعليمه ومنطلقا للدعوة. " ومكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي فهو ساحة للعبادة ، ومدرسة للعلم وندوة للأدب " (١).

وإقامة المسجد كانت أول وأهم ركيزة سعى إليها رسول الله ﷺ بعد هجرته للمدينة ؛ لأنها ركيزة تبني المجتمع المسلم وتجعله مكتسبا لصفة الرسوخ والتماسك والاستقرار بتألف أفراد المسلمين وجماعاتهم من الرجال والنساء ، لذلك حرصت النسوة على الانضمام إلى هذه المؤسسة بعد سماح الاسلام لمن بارتياحها والذهاب إليها.

عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بغلس فينصرفن نساء المؤمنين لا يعرفن من الغلس أو لا يعرفن بعضهن بعضا (٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : " إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعَهَا " (٣).

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد ... " (٤).

لهذا وغيره كان لبعض النسوة اهتمام منقطع النظير بهذه المؤسسة فقامت بنظافتها وتجميلها ، وكانت امرأة اسمها محجنة تلقب بأم محجن ، مولعة بتنظيف مسجد رسول الله ﷺ توفيت فمر النبي ﷺ على قبر جديد حديث عهد بدفن ومعه أبو بكر ، فقال : قبر من هذا؟! فقال أبو بكر: يا رسول الله هذه أم محجن ، كانت مولعة بلقط القذي من المسجد ، فقال : أفلا آذنتموني فقالوا: كنت نائما فكرهنا أن نهيحك ... (٥).

١ . فقه السيرة للغزالي ص ١٩٢ .

٢ . رواه البخاري ١ / ٢٩٦ رقم " ٨٣٤ " باب صلاة النساء خلف الرجال .

٣ . رواه البخاري ١ / ٢٩٧ رقم " ٨٣٥ " باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد .

٤ . رواه مسلم ٢ / ٣٢ رقم " ١٠١٨ " باب خروج النساء إلى المساجد ، وعبد الرزاق في المصنف ٣ /

١٤٧ حديث رقم " ٥١٠٧ " باب شهود النساء الجماعة .

٥ . سنن البيهقي ج ٤ ص ٤٨

وعن أبي هريرة : أن امرأة أو رجلا كانت تُقيم المسجد . ولا أراه إلا امرأة . فذكر حديث النبي ﷺ أَنَّهُ صَلَّى عَلَيَّ قَبْرَهَا^(١) .

ومن جوانب اهتمام النساء بالوضع الاجتماعي العام في المساجد ، وتطور أساسها ونظافته صناعة المنبر الذي رقيه رسول الله ﷺ وخطب عليه صحابته الكرام من بعده ، وكان اقتراحا تقدمت به ونفذته امرأة من الأنصار ، فعن جابر بن عبد الله أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي غُلَامًا تَجَارًا قَالَ إِنْ شِئْتَ فَعَمِلْتُ الْمَنْبَرَ^(٢) .

❖ أول جمعية نسائية في الإسلام " صُفَّة النساء "

الصُّفَّة : موضع مظلل في آخر مسجد الرسول ﷺ وهيئتها أنها ذكة مسقوفة في آخر المسجد ، بناها رسول الله ﷺ بعد تحويل القبلة ، وهذه صُفَّة الرجال والنساء ، وقيل كانت هناك صفة خاصة بالنساء ليست هذه ، أو لعلها الصفوف الخلفية للرجال ، وكانت تجتمع فيها مجموعة من النسوة للصلاة وغيرها مع الرسول ﷺ . فعن ابن عمر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَطَعَ يَدَ رَجُلٍ سَرَقَ ثُرْسًا مِنْ صُفَّةِ النِّسَاءِ ثَمَنُهُ ثَلَاثَةُ دِرَاهِمٍ^(٣) .

وعن بُقَيْرَةَ امْرَأَةِ الْقَعْقَاعِ قَالَتْ : إِنِّي لَجَالِسَةٌ فِي صُفَّةِ النِّسَاءِ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا سَمِعْتُمْ بِحَسْفٍ هَاهُنَا قَرِيبًا فَقَدْ أَظَلَّتِ السَّاعَةُ^(٤) .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر بأقصر سورتين في القرآن فقلت : يا رسول الله صليت بنا اليوم صلاة ما كنت تصليها ، قال : " إني سمعت صوت صبي في صفة النساء"^(٥) .

١ . صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٧ رقم " ٤٤٠ " .

٢ . صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٧ رقم " ٤٤٣ " .

٣ . سنن أبي داود ج ١١ ص ٤٦٤

٤ . مسند أحمد رقم " ٢٥٨٧٩ " .

٥ . روضة المحدثين ج ١١ ص ١٥٠ رقم " ٥١٥٠ " .

وشاهد هذه النصوص وجود صفة خاصة بالنساء ، تعتبر بلغة العصر جمعية نسائية يجتمعن فيها ، وهؤلاء النسوة تآخين وتعاهدن فيما بينهن على الطاعة والقيام ببعض أعمال البر والخير وممارسة الأنشطة العلمية والتعليمية، بدليل أنهن طلبن من الرسول ﷺ أن يؤدي معهن نشاطا علميا وتعليميا، فأرسلن وافدة منهن له ﷺ تتحدث باسمهن . وتكونت هذه الجمعية لتكون معينا صافيا لنشر العلم وتعليمه ، وتدریس أمور الدين وتفقيه الرسول ﷺ نساء المسلمين أو قيام النسوة بتفقيه بعضهن البعض ، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النساء قلن لرسول الله ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما نأتيك فيه من الغد ، فأمرهن ووعظهن ، وقال: ما من امرأة منكن يموت لها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار ، قالت امرأة : واثنان ؟ فإنه قد مات لي ثنتان ، قال رسول الله ﷺ : واثنان^(١) .

وعنه ﷺ أيضا عن النبي ﷺ أن امرأة قالت للنبي ﷺ : اجعل لنا منك يوما، قال : " يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا ، فأتاهن فعلمهن السنة ، وقال : أما أنه ليس من امرأة تقدم بين يديها ثلاثة إلا كانوا لها حجابا من النار، قالت : امرأة واثنين يا رسول الله ؟ فسكت . قالت : أو اثنتين يا رسول الله قال أو اثنتين"^(٢) .

لقد حضرت المرأة واستمعت من النبي ﷺ وشاركت مشاركة إيجابية بالسؤال والاستفسار، فلم يكن حضورا وسماعا فقط ، بل كان حضورا إيجابيا . وكانت المندوبة الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد ، ورد أنها أتت النبي ﷺ فقالت : إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي ، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمننا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم،

١. رواه البخاري باب فضل من مات له ولد رقم " ١١٩٢ " .

٢. السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٥٢ رقم " ٥٨٧٩ " .

أفشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه. فقال : " هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟! " فقالوا : بلى والله يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: " انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال " فانصرفت أسماء وهي تهمل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ^(١).

وفي رواية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : بأبي أنت وأمي ، إني وافدة النساء إليك ، واعلم - نفسي لك الفداء - أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي ، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإهلك الذي أرسلك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً ومرابطاً حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثواباً ، وربينا لكم أولادكم ، فما شاركم في الأجر يا رسول الله ؟ قال : فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : « هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه ؟ » فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت النبي ﷺ إليها ، ثم قال لها : « انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله » قال : فأدبرت المرأة وهي تهمل وتكبر استبشاراً^(٢).

❖ المؤسسة الصحية الخدمية " المستشفى النبوي " :

وجدت في عاصمة دولة الإسلام الأولى مؤسسة خدمية صحية ملحقة بمسجد الرسول ﷺ ، شاركت فيها المرأة وبرزت مشاركتها فيها ، هذه المؤسسة خيمة ريفية الأسلمية

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١ / ٥٧٦.

٢. شعب الإيمان لليهقي - ج ١٨ ص ٢٥٣. رقم " ٨٤٨٤ "

والتي كانت بمثابة مؤسسة صحية عامة يطبب فيها مرضى المسلمين، وصارت هذه المؤسسة سابقة حضارية تطورت فيما بعد حسب معطيات كل عصر ، وتعد هذه الخيمة أول مستشفى في الإسلام . وأسند الإشراف عليها إلى رفيده بنت كعب الأسلمية ، والشفاء بنت عبد الله رضي الله عنهما ؛ لأنهما كانتا على علم بطب زمانهما ، وكانت رفيده كما قال الطبري^(١) : تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه . أي سعد بن معاذ . السهم بالخندق "اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّى أَعُوذَهُ مِنْ قَرِيبٍ" .

وذكر ابن حجر أنها : كانت خبيرة بمداواة الجرحى ، وكان لها يوم الخندق خيمه عرفت باسمها حمل إليها سعد ابن معاذ لما أصيب^(٢) . وعن محمود بن لبيد قال: لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل ، حولوه عند امرأة يقال لها : رفيده ، وكانت تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: « كيف أمسيت ؟ » ، وإذا أصبح : « كيف أصبحت ؟ » فيخبره^(٣) .

وورد أن رجلا من الأنصار خرجت به نملة^(٤) فدل أن الشفاء ترقى من النملة فجاءها فسألها أن ترقيه فقالت: والله ما رقيت منذ أسلمت ، فذهب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي قالت الشفاء ، فدعا رسول الله ﷺ الشفاء ، فقال : اعرضيها عليّ فعرضتها عليه، فقال: ارقيه وعلميها حفصة^(٥) .

وعن ابن أبي حثمة قال : حدثني أمي، أنها كانت ترقى برقية في الجاهلية فلما أن جاء الإسلام، قالت: لا أرقى حتى أستأمر رسول الله ﷺ فقال لها النبي ﷺ : " ارقى ما لم يكن شرك بالله ﷻ " ، وفي رواية ، أنها قالت للرسول ﷺ : رأيت أن أعرضها عليك .

١. التفسير ج ٢٠ ص ٢٤٦ .

٤- فتح الباري ج ١ ص ٢٦٠

٣. في الأدب المفرد للبخاري ج ٤ ص ٢٠٢ حديث رقم " ١١٧٠ " .

٤. النملة : فُرُوحٌ تُخْرَجُ فِي الْجَنْبِ [النهاية في غريب الحديث ٥ / ٢٢٥ . نمل] .

٥ . المستدرک علی الصحیحین " رقم ٦٨٨٨ " وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

فقال: اعرضيها فعرضتها عليه وكانت منها رقية النملة فقال ارقى بها وعلميها حفصة^(١).

ولهذه المؤسسة فوائد منها : وجوب بناء المؤسسات الصحية ، والعمل الطبي حتى تحصل الكفاءة التي تحتاجها الأمة . وأن عمل المرأة في مجال الطب مشروع ، فرسول الله ﷺ أمر ربيعة أن تشرف على علاج سعد بن معاذ ﷺ وتطبيبه لأنها كانت أمهر الحضور في ذلك الوقت. كما يجوز معالجة النساء للرجال، إذا دعت الضرورة. وأخيرا عمل المرأة جازر في المجال الذي تحتاجه الأمة بشرط أن يحفظ لها أنوثتها وعفتها وكرامتها، وأن يتناسب مع طبيعتها كأنثى ، دون تعارض مع الشرع.

المبحث الثاني : مشاركة المرأة في مجتمع المدينة المنورة ودورها فيه :

سارعت المرأة المسلمة للمشاركة في مجالات العمل الاجتماعي في عهد الرسول ﷺ وصحابته ﷺ ، وكانت لها أفضلية في التعامل مع مؤسساته وتأثيرها في المجتمع ، ومن هذه المشاركات :

بيعة رئيس الدولة وولي أمر المسلمين :

أخذ رسول الله ﷺ البيعة من المرأة كما أخذها من الرجل ، وشاركت المرأة في هذا العمل الجليل بل سُميت ببيعة النساء ، ونزل فيها قرآن يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يُمتحن بقول الله ﷻ ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ﴾ قالت عائشة : فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالحنة . يعني بالبيعة الشرعية . قال هن ﷺ : انطلقن فقد بايعتكن ^(٢).

١. المستدرک علی الصحیحین رقم " ٦٨٨٩ " ، " ٦٨٩٠ " .

٢. صحیح البخاری رقم " ٤٨٧٩ " باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية ، مسلم رقم " ٣٤٧٠ " كتاب بيعة النساء.

وعن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نبايعه، فقلن نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق ، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بهتان نفتربه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف، قال رسول الله ﷺ فيما استطعتن وأطعتن، قالت : فقلت الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا هلم نبايعك يا رسول الله ... " ، وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ، فأرسل إلينا عمر بن الخطاب ، فقام علينا فرددنا عليه السلام ثم . قال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكن ، فقلن: مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ﷺ فقال : تباعيني على أن لا تشركن بالله شيئا، ولا تسرقن، ولا تزينن الآية ، قالت : فقلنا: نعم" (١).

وعن أم المؤمنين عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تباع النبي ﷺ فأخذ عليها أن لا يسرقن ، ولا يزنين الآية ، قالت : فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجب النبي ﷺ ما رأى منها ، فقالت لها عائشة : قري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا رسول الله ﷺ إلا على هذا فبايعها بالآية (٢). وعنهما أيضا قالت: جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه ﷺ فقال: أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقني ولا تزني ، قالت : أو تزني الحرة، قال : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، قالت : وهل تركت لنا أولادا نقتلهم ، قال : فبايعته (٣).

وكثرة الأحاديث تدل على مدى مشاركة المرأة في بيعة رسول الله ﷺ لأنها من الشؤون العامة التي تخص المسلمين ، وتثبت كذلك أنها ليست وفقا على الرجال دون النساء . وكما شاركت المرأة في البيعة العامة شاركت كذلك في البيعة الخاصة تحت الشجرة . شجرة الرضوان . وهي البيعة المعروفة ببيعة الموت ، فالنبي ﷺ حين خرج للحديبية خرج

١. موارد الظمآن ١ / ٣٤ رقم " ١٤ ، ١٥ " .

٢. صحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤١٨ ، رقم " ٤٥٥٤ " ، وفي المجمع قال الهيثمي : رواه احمد ، إلا أنه قال : عن معمر عن الزهري أو غيره عن عروة ورجاله رجال الصحيح ٣ / ٣٦ .

٣. مجمع الزوائد ٣ / ٣٦ .

معه أربع نسوة هن : زوجته أم سلمة ، وأم عمارة ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهلية رضي الله عنهن ، فلما أشيع في المسلمين أن عثمان رضي الله عنه قُتل قال رضي الله عنه عند بلوغه ذلك : " لا نبرح حتى نناجز القوم . نقاتلهم . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة " .

وعن سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس قائلون . أي في وقت القيلولة . إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أيها الناس البيعة البيعة ، نزل الروح القدس فاخرجوا على اسم الله ، فسرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه ، أي وبايعه الناس على عدم الفرار ، وأنه إما الفتح وإما الشهادة ، ولم يتخلف أحد سوى الجند بن قيس ^(١) .

ونص هذه الرواية وغيرها يوحي أن النسوة السابق ذكرهن بايعن مع المسلمين ، فلم يرد ذكرهن في الاستثناء، ولو أئمن امتنعن ولم يبايعن لنقل هذا الاستثناء من البيعة، وكونهن بايعن ، فامتنع ذكر النقيض له ، ولا غرابة في بيعتهن على الموت لأئمن كن يشاركن في القتال من قبل ومن بعد.

◀ المشاركة في الاستقبالات العامة :

برز دور المرأة ومشاركتها في العديد من المواقف المهمة في الدولة الإسلامية ، والاستقبالات العامة ، وتعددت المواقف التي تؤكد هذه المشاركة ، ومنها :

استقبال الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حادث الهجرة :

لما سمع مسلموا المدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، كانوا يذهبون كل غداة إلى الحرة، فينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة ، ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أخذ أهل المدينة يقولون: «جاء نبي الله، جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، جاء نبي الله». فكان يوم فرح وابتهاج لم تر المدينة يوماً مثله.

روى الإمام مسلم قال: « عندما دخل رسول الله ﷺ المدينة، صعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: «يا محمد، يا رسول الله، يا محمد، يا رسول الله»^(١).

ولما قدم ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع^(٢). فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظرا شبيها به يومئذ.

- وعن أنس ﷺ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما دخل المدينة جاءت الأنصار برجالها ونسائها، فقالوا: إينا يا رسول الله، فقال: دعوا الناقة فإنها مأمورة، فبركت على باب أبي أيوب قال: فخرجت جوار من بني النجار يضرين بالدفوف وهن يقلن:
نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار^(٣).

وخروج النساء واستقبالهن لرسول الله ﷺ بهذه الكيفية يعتبر من أبرز أنواع المشاركة في الأمور العامة التي تخص المجتمع الوليد في المدينة المنورة.

استقبال الرسول ﷺ والمجاهدين عند رجوعهم من الغزو:

كانت هناك مشاركات بارزة للمرأة المسلمة في الاستقبالات العامة وبخاصة وقت رجوع الرسول ﷺ وصحابته من الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى، فغزوة أحد كانت فيها جملة مواقف ومشاركات، برز فيها دور المرأة المسلمة وحضورها في هذا الجانب منها:

أ- صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها: لما استشهد أخوها حمزة بن عبد المطلب ﷺ جاءت لتتنظر إليه وقد مثل به المشركون، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: «القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن

١. مسلم، كتاب الزهد والرقائق باب حديث الهجرة، رقم ٢٠٠٩.

٢. دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٣٦٤ رقم " ٧٦٤ "، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٦٩.

٣. دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٣٦٧ رقم " ٧٥٥ ".

ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: «خلّ سبيلها» فأنته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت، واستغفرت له^(١). وفي هذا الموقف إضافة للمشاركة العامة، بيان لمواقف الصبر والشجاعة وقوة الاحتمال واحتساب الأجر عند الله تعالى، مما لا يخفى على الدعاة العاملين والقادة المصلحين والمجددين.

ب- حمنة بنت جحش رضي الله عنها: لقيته رضي الله عنه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حمنة: «احتسي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «أخوك عبد الله بن جحش» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئًا له الشهادة، ثم قال لها: «احتسي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «خالك حمزة بن عبد المطلب» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئًا له الشهادة، ثم قال لها: «احتسي» قالت: من يا رسول الله؟ قال: «زوجك مصعب بن عمير» قالت: واحزنه، وصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن زوج المرأة منها ليمكن» لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها، وصياحها على زوجها ثم قال لها: «ولم قلت هذا؟» قالت: يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراعني، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولولدها أن يحسن الله تعالى عليهم من الخلف.

والمرأة في هذا الموقف خرجت لتشارك في استقبال العائدين من الجهاد في سبيل الله، ولم تجلس في بيتها تنتظر من يطرق عليها الباب فيخبرها نتائج المعركة وما تم فيها، ولم تذهب تسأل أحدا من أقاربها، بل خرجت في الطريق العام تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تسأل من يقابلها ممن شارك في المعركة، كي تطمئن عليهم وعلى أحوالهم.

ج- امرأة من بني دينار رضي الله عنها: قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوها لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين،

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل^(١).

د- أم سعد بن معاذ "كبشة بنت عبيد الخزرجية" رضي الله عنها: خرجت تعدو نحو رسول الله ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله، أمي، فقال رسول الله: «مرحبًا بها» فدنت حتى تأملت رسول الله فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا، فقد أشوت المصيبة، فعزاها رسول الله ﷺ بعمرو بن معاذ ابنها، ثم قال: «يا أم سعد، أبشري وبشري أهلكهم أن قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعًا، وهم اثنا عشر رجلاً، وقد شفّعوا في أهلهم» قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟^(٢).

المشاركة في طلب العلم ونشره تعلمًا وتعليمًا:

تعليم المرأة كان قضية شائكة في معظم الحضارات، وكي تتضح الصورة نذكر بقول سقراط: المرأة ليست معدة إعدادًا طبيعيًا لكي تفهم شيئًا في العلم ولكنها معدة للمطبخ وتربية الأولاد، وجاء أفلاطون ليعطيها قسطًا من التعليم فقامت عليه الدنيا، وألف الفيلسوف الساخر "أريستوفان" رواية اسمها النساء المتحذلقات وتندر فيها على المرأة التي نالت قسطًا من التعليم، وألف بعده مولير الفرنسي رواية اسمها برلمان النساء^(٣).

لم يكن للعرب حظ مرموق من العلم والثقافة؛ لذا وصفهم الله بالأميين في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤)، وجاء الإسلام فرغب في طلب العلم، وجعله فريضة على كل مسلم،

١ - انظر: البداية والنهاية ٤ / ٤٧، ٤٨.

٢ - أشوت: صارت صغيرة خفيفة، أو لم تبلغ المقتل [مغازي الواقدي ١ / ٣١٥، ٣١٦، سبل الهدى والرشاد ٤ / ٢٨٤].

٣. قضايا المرأة المسلمة: ص ١٤.

٤. سورة الجمعة الآية: ٢.

ونزل خطاب الله تعالى لأمهات المؤمنين: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^(١).

يقول القرطبي " وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم فقييل : هم زوجاته خاصة لا رجل معهن وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ لقوله تعالى : ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ، وقيل: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، و قوله واذكرن ابتداء مخاطبة الله تعالى، أي مخاطبة أمر الله ﷻ أزواج النبي ﷺ على جهة الموعظة وتعدد النعمة ، بذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله تعالى والحكمة ، قال أهل العلم بالتأويل : آيات الله القرآن ، والحكمة السنة^(٢).

وخطاب النساء بذكر ما يتلى في البيوت من الآيات والحكمة ، دليل على أهمية تعلم النساء أمر دينهن وتفقههن فيه، ويأتي بعد ذلك واجب آخر هو تعليم ما تعلمنه. وامتثل العمل بهذه الآية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فكن من أكثر الناس علما ، وكانت أم المؤمنين عائشة أكثرهن على الإطلاق ، وتواترت الآثار في ذكر علمها وتعليمها وفقهها ، فقد ورد أنها روت ألفين ومائتين وستة عشر حديثا (٢٢١٦) ^(٣). ولها في الصحيحين " ٢٩٧ " مائتان وسبعة وتسعون حديثا ، والمتفق عليه " ١٧٤ " مائة وأربعة وسبعون حديثا انفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بتسعة وستين^(٤). ولها استدراقات على الصحابة ﷺ في بعض المواضع جمعها السيوطي في مؤلف خاص سماه " عين الإصابة في استدراك أم المؤمنين عائشة على الصحابة " .

١. سورة الأحزاب الآية : ٣٤ .

٢. راجع التفسير ٨ / ٥٤٥٢ وما بعدها .

٣. تدريب الراوي ٢ / ٢١٧ .

٤. إعداد المرأة المسلمة ص ٤٧ د . السيد محمد علي نمر الدار السعودية للنشر والتوزيع ط الثانية ١٤٠٤ هـ

قال عطاء : " كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيا في العامة " (١)، وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما " (٢).

وعن مسروق قال : كانت عائشة . رضي الله عنها " تحسن الفرائض والذي لا إله غيره لقد رأيت الأكاير من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض (٣). وعن عروة بن الزبير عن أبيه قال : ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ، ولا بفريضة ولا بجلال ولا بحرام ، ولا بشعر ، ولا بحديث العرب ، ولا بنسب ، من عائشة رضي الله عنها .

وبما قامت به أم المؤمنين عائشة من تعليم للصحابة وللصحابيات ، يتبين دور المرأة في تفقهها في أمر دينها وتعليمها أبناء الأمة وأنه حق كفله الإسلام وطالب به ولم يكتف أن يُجيز للمرأة أن تتعلم ما شاءت من علوم الدين والدنيا ، بل أوجب عليها ما أوجب على الرجل ، وبهذا برزت المرأة في مجالات العلم المختلفة حتى بلغ بعضهن شأوا بعيدا (٤).

وأم المؤمنين أم سلمة : يبلغ مسندها ثلاثمائة وسبعون حديثا ، وهي بهذا بعد عائشة ، روى عنها من التابعين سعيد بن المسيب ، والشعبي ، وأبو صالح السمان ، ومجاهد ، ونافع بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وخلق كثير .. (٥).

وكانت رضي الله عنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بالاحتساب ، فعن عمر بن سعيد قال: أخبرتني أمي عن أبي ، قال : دخلت على أم سلمة وأنا غلام وعلي خاتم من ذهب ، فقالت : يا جارية ناوليه فناولتها إياه ، فقالت اذهبي به إلى أهله واصنعي

١. سير أعلام النبلاء ٢ / ١٥٨

٢. حديث صحيح رواه الترمذي في المناقب ج ٥ ص ٧٠٥ رقم ٣٨٨٣ وقال حسن صحيح.

٣. سنن الدارمي ٢ / ٤٤٢ .

٤. راجع المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله د. علي عبد الحليم محمود ص : ٣٣٨ دار الوفاء ط الثانية.

٥. سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٠٢ . ٢١٠ .

خاتما من ورق، فقالت : لا حاجة لأهلي فيه، قالت : فتصدقي به ، واصنعي له خاتما من ورق^(١).

" فهاهي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قد احتسبت على لابس خاتم الذهب ، وسلكت في ذلك الاحتساب المسلك العملي ، ونهته عن مخالفة الشرع باستعمال الذهب ولبسه والتختم به ، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(٢).

وأم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها مسندها خمسة وستون حديثا ، وحفصة لها في مسند بقي بن مخلد ستون حديثا ، وميمونة بنت الحارث روى عنها ثلاثة عشر حديثاً ، وزينب بنت جحش روى عنها أحد عشر حديثا ، وصفية بنت حيي بن أخطب ورد لها عشرة أحاديث ، وجويرية لها سبعة أحاديث ، وسودة بنت زمعة لها خمسة أحاديث .

ولا يعنى ورود هذا العدد من الأحاديث المذكورة أن علمهن وقف عند هذا الحد ، بل كان أكثر وأشمل ، لكن هذا هو المروى عنهن الموثب في كتب السنة ، ولو بحثنا لوجدنا علمهن فاق ما ذكر، فعندما تسمع أن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها لها أحد عشر حديثا ، هل يعقل أن يكون هذا العدد المروى عن زوجة لرسول الله ﷺ هو علمها ؟ بالطبع لا ، فهي وغيرها لم يبت عندها رسول الله ﷺ إحدى عشرة ليلة حتى تسمع منه أحد عشر حديثا أو أحد عشر حكما ، لكن هذا هو المروى عنها، وأهو ما سئلت عنه فأجابت وحفظ مدونا في الكتب ، أو أنها وغيرها كان عندهن علم اشتركن فيه ، وكان الجيل كله على علم بأمر دينه فلم يحتج أن يدون هذا العلم ، أو أن يسأل عنه لأن الحاجة لم تكن ماسة له ، أما من طال بها عمر واحتاج الناس لعلمها فسئلت عنه فأجابت ، بخلاف من ماتت بعد رسول الله ﷺ بزمن قصير .

١. مصنف بن أبي شيبة ٥ / ١٩٤ رقم " ٢٥١٤٣ " والورق المراد به الفضة.

٢. حولية كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر القاهرة العدد الرابع عشر ٢ / ٤٧ ، سنة ١٤٢١هـ /

وشارك سائر النسوة وحرصن على التعليم والتعلم ، جاءت امرأة رسول الله ﷺ ،
قائلة: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً تأتيك فيه تعلمنا
مما علمك الله. فقال اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن
رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله^(١) ، وثبت من عدة طرق أن الشفاء بنت عبد الله
علّمت حفصة الكتابة^(٢) ، وجاء في كتب السنة المطهرة ما يحث على تعليم النساء
وتأديهن قال ﷺ : " أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها
فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران"^(٣).

ومن أمثلة الحرص على التعلم والتفقه أن إن امرأة يقال لها رِعة القشيرية ، وفدت على
النبي ﷺ وكانت ذات لسان وفصاحة فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته ، إنا ذوات الخدور ومحل أزر البعول ، ومربيات الأولاد ولاحظ لنا في الجيش ،
فعلمنا شيئاً يقربنا إلى الله ﷻ فقال: " عليك بذكر الله أثناء الليل وأطراف النهار،
وغض البصر ، وخفض الصوت... " الحديث ، وفيه قالت : يا رسول الله إني امرأة
مقينة أفين النساء وأزينهن لأزواجهن، فهل هو حوب فأثبط عنه؟ فقال لها يا أم رِعة: "
قنينهن وزينهن إذا كسدن"^(٤).

وشواهد التاريخ مليئة بالكثير من أسماء الفقيهات والمحدثات والأديبات على مر
العصور كأم سليم ، وأسماء بنت عميس ، وعائشة بنت طلحة ، وفاطمة بنت الحسين ،
حفصة بنت سيرين ، وغيرهن كثيرات^(٥).

١. رواه البخاري ٦ / ٢٦٦٦ ، ومسلم ٤ / ٢٠٢٨ .

٢ - رواه أبو داود في سننه رقم " ٣٨٨٧ " .

٣ رواه البخاري رقم " ٤٦٩٣ " كتاب اتخاذ السراي ومن أعتق جاريته ثم تزوجها .

٤ - الإصابة في معرفة الصحابة ٤ / ٨٨ .

٥. انظر الطبقات لابن سعد ج ٨ ففيه كثير من ترجمات من هن فضل وعلم وسابقة في الإسلام وكذا الإصابة
لابن حجر .

كان هذا في وقت لم يكن لنساء الحضارات والمجتمعات الأخرى حظ من التعليم أو الاهتمام بتعليمهن حتى التعليم الديني ، أصدر البرلمان الإنجليزي في عصر هنري الثامن ملك إنجلترا قراراً يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد . فأين هذا من وضع الصحابة للمصحف الأول الذي كتب في عهد أبي بكر عند امرأة ، هي أم المؤمنين حفصة^(١) .

◀ دور المرأة الجهادي في سبيل الله :

كان للمرأة دورها المبرز والمؤثر في مجرى الأحداث بكل أنواعها لا سيما على أرض المعارك وفي ساح القتال ، ورغم اجماع الفقهاء على عدم وجوب الجهاد بالنفس على المرأة ، لعدم تحملها مشاق الحرب ، إلا أنه لا تعارض في صدور هذا الحكم من الفقهاء وما ورد من أحاديث ، أو مواقف بطولية ذكرت في كتب السيرة ، يقول ابن بطال عنها : " دل حديث عائشة ، على أن الجهاد غير واجب على النساء ، ولكن ليس في قوله ﷺ : جهادكن الحج ، أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وإنما لم يكن عليهن واجبا لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال ، فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد " ، وفي كتب السنة ما يدل على مشاركة النساء في الحرب بسقي الماء ومداواة الجرحى ، قالت أم عطية : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى ، وأقوم على الزمى^(٢) . وهذه بعض نماذج لمشاركة المرأة في القتال :

١ . الغزو في البر : ومن نماذجه ما يلي :

أ - سقي العطشى من المجاهدين :

١ . حقوق المرأة في الإسلام لرشيد رضا ص ٤٦ ، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني للبوطي ص ٨٣ - ٨٥ .

٢ . شرح صحيح البخارى . ٥ / ٧٥ ، فتح الباري ٦ / ٧٦ ، وتحفة الأوحدي ٥ / ١٦٤ .

عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدماً سوقهما . يعنى الخلاخيل . وقال غيره على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنهما ثم تخبثان فتفرغانها في أفواه القوم^(١) .

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه : رأيت أم سليم بنت ملحان وعائشة على ظهورهما القرب يحملاهما يوم أحد ، وحملة بنت جحش تسقي العطشى وتداوي الجرحى ، وكانت أم أيمن تسقي الجرحى^(٢) .

ب- مداواة الجرحى :

عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ويداوين الجرحى^(٣) . وأخرج عبد الرزاق عن الزهري : كان النساء يشهدن مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد ويسقين المقاتلة ويداوين الجرحى^(٤) .

وعن الربيع بنت معوذ قالت : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي القوم ، ونداوي الجرحى ، ونرد القتلى إلى المدينة^(٥) .

وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد رضي الله عنه وهو يُسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ، ومن كان يسكب الماء وبما دووي : كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله ، وعليّ يسكب الماء بالجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم^(٦) .

١ - البخاري كتاب الجهاد رقم " ٢٧٢٤ " .

٢ - المغازي للواقدي ١ / ٢٤٩ .

٣ - مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء، رقم " ١٨١٠ " .

٤ - فتح الباري لابن حجر ٦ / ٩٢ عند حديث رقم " ٢٨٨٠ " .

٥ - البخاري، كتاب الجهاد والسير رقم " ٢٨٨٢ ، ٢٨٨٣ " .

٦ - البخاري، كتاب المغازي، رقم " ٤٠٧٥ " .

ج- الدفاع عن رسول الله ﷺ :

لم يقاتل أحد المشركين يوم أحد مثل أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية - رضي الله عنها- وهذا ضمرة ابن سعيد يحدث عن جدته، وكانت جدته شهدت أحدًا تسقي الماء ، قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : " لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ". وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال ، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها ، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا ، فلما حضرها الوفاة ، عدت . أي جدة ضمرة . جراحها عند غسلها فكانت ثلاثة عشر جرحًا ، وكانت تقول : إني لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها - وكان أعظم جراحها ، لقد داوته سنة- ثم نادى منادي النبي ﷺ إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نرف الدم ، ولقد مكثنا ليلنا نكمد الجراح حتى أصبحنا ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحمراء ، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني^(١) - أخو أم عمارة - يسأل عنها ، فرجع إليه يخبره بسلامتها فسر النبي ﷺ بذلك^(٢).

يقول دكتور أكرم ضياء العمري : وهذه الآثار تدل على جواز الانتفاع بالنساء عند الضرورة لمداواة الجرحى وخدمتهم إذا أمنت فتنتهن مع لزومهن الستر والصيانة ، وهن أن يدافعن عن أنفسهن بالقتال إذا تعرض لهن الأعداء، مع أن الجهاد فرض على الرجال وحدهم إلا إذا داهم العدو ديار المسلمين فيجب قتاله من الجميع رجالا ونساء^(٣).

١ - أخو أم عمارة: انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٧٨ .

٢ - المغازي للواقدي ١ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

٣ - السيرة النبوية الصحيحة ٢ / ٣٩١ . معركة أحد أول معركة قاتلت فيها المرأة المسلمة ، وكانت امرأة واحدة فقط اشتركت في هذه المعركة ، خرجت لتنظر ما يصنع الناس وتقوم بمساعدة المسلمين كإغاثة الجرحى بالماء وما شابه ذلك، يضاف إليه أنها كانت تحطت سن الشباب ، وخرجت مع زوجها وابنيها الذين كانا من الجند الذين قاتلوا في المعركة، يضاف إلى هذا الرصيد المهائل الذي لديها من المناعة الخلقية والتربية الدينية، فلا يقاس على هذه الصحابية الجليلة مجندات هذا الزمان اللواتي يرتدين لباس الميدان وعنصر الإغراء والفتنة هو أهم عنصر يتميز به ويجرصن على إظهاره للرجال فأين الثرى من الثريا؟ [غزوة أحد محمد باشميل ص ١٧١ .]

٢- الغزو في البحر : بوب الإمام البخاري في صحيحه بابا عنوانه (غزو المرأة في البحر) وساق تحته هذا الحديث ، دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك فقالت : لم تضحك يا رسول الله؟! فقال : ناس من أمي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة ، فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : اللهم اجعلها منهم ، ثم عاد فضحك ! فقالت له : مثل أو مم ذلك ؟ فقال لها مثل ذلك ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت من الأولين ، ولست من الآخريين ، قال : قال أنس : فتزوجت عبادة بن الصامت ؛ فركبت البحر مع بنت قرظ فلما قفلت ركبت دابتها فوقصت بها فسقطت عنها فماتت^(١).

◀ المشاركة في العمل الإعلامي دفاعا عن الإسلام :

شاركت المرأة إعلاميا دفاعا عن الإسلام ورسوله ﷺ وتمثل هذا في استخدام وسيلة إعلام ذلك العصر وهي: الشعر، فمدحت الإسلام وأظهرت محاسنه ، والرسول ﷺ وصحابته ﷺ . وكانت تراثي من مات من الشهداء أو الفضلاء ذوي المناقب العلية ، والمآثر النقية ، ومن هذه النماذج الإعلامية :

هند بنت أئانة:

في غزوة أحد استشهد حمزة ﷺ وبقرت هند بنت عتبة عن كبده ، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها قائلة :

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمه بكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشي غليل صدري

فأجابتها الصحابية الجليلة ، هند بنت أئانة بن عباد بن عبد المطلب قائلة :

خزيت في بدر وبعد بدر	يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر	من الهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفري
إذ رام شيب^(١) وأبوك غدئ
حمزة ليشي وعلى صقري
فخصبنا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر^(٢)

* عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رثت رسول الله ﷺ :

أمست مراكبه أوحشت
وأمست تبكي على سيد
وأمست نساؤك ما تستفيق
وأمست شواحب مثل النصا
يعالجن حزنا بعيد الذهاب
يضربن بالكف حر الوجوه
هو الفاضل السيد المصطفى
فكيف حياتي بعد الرسول
وقد كان يركبها زينها
تردد عبرتها عينها
من الحزن يعتادها دينها
ل قد عطلت وكبا لوغها!
وفي الصدر مكتنع حينها
على مثله جادها شونها
على الحق مجتمع دينها
وقد حان من ميتة حينها؟

* أم أيمن رثت النبي ﷺ فقالت :

عين جودي! فإن بذلك للدمع شفاء فأكثري من البكاء
حين قالوا: الرسول أمسى فقيدا
وابكيا خير من رزئناه في الدنيا ومن خصه بوحي السماء
بدموع غزيرة منك حتى
فلقد كان ما علمت وصولا
ولقد كان بعد ذلك نورا
طيب العود والضريبة والمعدن والخير خاتم الأنبياء^(٣)

١. أرادت شيبه بن ربيعة أبا هند.

٢. تفسير القرطبي ٤ / ١٨٧

٣. الطبقات ج ٢ ص ٣٣٣ .

﴿ حضور الاجتماعات المهمة :

كان الرسول ﷺ إذا حدث حادث يجمع الناس ، فيقبل الجميع إلى المسجد ، ليستمعوا لما استجد من أمور ، وكانت هذه الطريقة تقوم مقام الإعلام العام في الوقت الحاضر ، وحضورهم بهذه الكيفية كان يسهل عليهم تبليغ البيان النبوي للأمة ، المتعلق بأمور حياتهم اليومية ، أو المستجدات التشريعية .

واعتبرت النسوة النداء موجهاً لهن كالرجال ، لأن التكليف واحد والخطاب في معظمه عام لهما ، فالمرأة أمام نداء الرسول ﷺ مأمورة بالاستجابة وتلبية النداء عملاً بقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾^(١) ، ومسئولة مسئولية فردية أو جماعية ، لذلك أسرعن لحضور هذه الاجتماعات ، وعبرت أم المؤمنين أم سلمة . رضي الله عنها عن هذا المعنى أصدق تعبير إذ قالت لجارية لها : لما سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر وهي تمشط شعرها : (أيها الناس ..!!) فقالت لماشطتها التي تمشط شعرها : استأخري عني ، فقالت الجارية : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء .. قالت . أم سلمة . : إني من الناس!!^(٢)

فأم المؤمنين رضي الله عنها استشعرت مسؤوليتها في النداء ، وأنه موجه لها مع أنه كان عاماً لم يتوجه لفرد بعينه ، فقامت لتسمع توجيه رسول الله ﷺ لعموم الأمة ، مع أنها زوجته ﷺ وكانت تستطيع أن تسأله بعد عودته لماذا جمع الناس فيجيبها ﷺ ، ولكنه استشعر مسئولية حضور اللقاء العام والنداء المهم ، لذا أسرعت لتسمع ما جدد من أمور ، وكانت من أوائل من لبى التكليف لم تتكاسل أو تتأخر ، لعلها تبدي رأياً وتشارك الحضور إذا احتاج الأمر لإبداء رأي .

١ . سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

٢ . صحيح مسلم ٧ / ٦٦ رقم " ٦١١٤ " باب إثبات حوض نبينا وصفته ، الترتيب الإدارية للكتاني ج ١

ص ٢٩٠ . ٢٩٣ .

وفاطمة بنت قيس القرشية . من المهاجرات الأول . تقول : سمعتُ نداء المُنادي ، مُنادي رسول الله ﷺ ينادي الصَّلَاةَ جامعةً ، فخرجتُ إلى المسجد فصليتُ مع رسول الله ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ . فَقَالَ لِيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!.. الحديث .

وفي رواية قَالَتْ : " فَتُودِي فِي النَّاسِ إِنْ الصَّلَاةَ جَامِعَةً ، قَالَتْ : فَاَنْطَلَقْتُ فِيمَنْ انْطَلَقَ مِنَ النَّاسِ فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ مِنَ النِّسَاءِ وَهُوَ يَلِي الْمُوَخَّرِ مِنَ الرِّجَالِ ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ ، فَقَالَ : إِنَّ بَنِي عَمِّ لَتَمِيمِ الدَّارِيِّ رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ .. وَسَاقَ الْحَدِيثَ . وَزَادَ فِيهِ قَالَتْ : فَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَهْوَى بِمِخْصَرَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ .. (١) .

◀ إبداء الرأي ومناصحة ولي الأمر :

كفل الإسلام للمرأة حق المراجعة والنقاش وابداء الرأي أمام ولي الأمر ، وشواهد هذا كثيرة في عهد الرسول ﷺ وخلفائه من بعده ، ففي الصحيح أن صاحبة الرأي أم المؤمنين أم سلمة . رضي الله عنها . أشارت على الرسول ﷺ يوم الحديبية برأي كان فيه نجاة الأمة ، إذ لما فرغ ﷺ من كتابة بنود الصلح بينه وبين مندوب قريش قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقيم منهم أحد ، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له : يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً... (٢) .

١ . صحيح مسلم / ١٤ / ١٧٨ رقم " ٥٢٣٥ " . ودلائل النبوة للبيهقي / ١ / ٦٧

٢ . البخاري، كتاب الشروط / ٣ / ٢٤٠ رقم " ٢٧٣٢ " .

ورأيها كان سديداً ومباركاً، حيث فهمت أنه وقع في نفوس الصحابة أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم ، وأنه يستمر على إحرامه أخذاً بالعزيمة ، فأشارت عليه ﷺ أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال ، وليعلموا كذلك أنه تكليف لا مجال فيه للاجتهاد ، ورأى النبي ﷺ صواب ما أشارت به أم المؤمنين ففعله ، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به ، فكان رأياً سديداً ومشورةً مباركةً .

وهذا دليل على استحسان مشاورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكر صائب ورأي سديد، وأنه لا فرق بين أن تأتي المشورة والنصيحة من رجل أو امرأة طالما أنها صائبة، وهذا عين التكرم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل ويعمل النبي ﷺ بمشورتها حل مشكلة واجهته^(١) .

وموقف آخر لها ناقشت فيه الرسول ﷺ وراجعته من أجل مصلحة المجتمع والمحافظة على طهره ونقائه وسترا لعورات نساء المسلمين . فعن ابن عمر^{رضي الله عنهما} قال : قال : رسول الله ﷺ " من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه ، قالت أم سلمة : يا رسول الله فكيف تصنع النساء بذيوها ؟ قال : يرخينه شبرا ، قالت : إذا تنكشفت أقدامهن ، قال : فترخينه ذراعا لا تزدن عليه"^(٢) .

كان لها رضي الله عنها نظرة في المحافظة على طهر المجتمع وعفافه ، فجاء هذا الحوار البناء ، الذي تخشى فيه من ظهور أقدام المسلمات ، وتخاف من الفتنة وتريد أن تغلق أي باب يؤدي إليها ، فتراجع الرسول ﷺ ، والحوار بهذه الطريقة من الرسول وأم سلمة دليل على رجاحة عقلها وقوة مناقشتها ودراستها للقضية المطروحة ، من كل اتجاه فليس الاعتراض لذات الاعتراض وإنما لمراعاة المصلحة وكيفية وقاية المجتمع الفتنة والمحافظة عليه ، في حوار فقهي يناقش قضية من باب فقه سد الذرائع .

١ . السيرة النبوية للصلاحي ٢ / ٢٧٦ بتصرف .

٢ . السنن الكبرى للنسائي ٥ / ٤٩٤ رقم " ٩٧٣٦ " ، ومسند ابن راهوية ٤ / ٧٩ .

الموقف الثاني : مناقشة امرأة من عموم نساء الأمة رسول الله ﷺ فهذه خولة بنت ثعلبة . رضي الله عنها . ناقشته ﷺ في ظهار زوجها منها ، حتى نزل فيها قرآن يتلى إلى يوم الدين ، تقول خولة : فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن ، فتعشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ، ثم سُري عنه ، فقال لي : " يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك " . ثم قرأ علي : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

كان الرجل في الجاهلية إذا غضب من امرأته قال لها : انت علي كظهر أمي . فتحرم عليه ، ولا تطلق منه . وتبقى هكذا معلقة ، لا هي حل له ولا مطلقة منه ، فلما كان الإسلام وقعت هذه الحادثة ، ولم يكن قد شرع حكم للظهار ، فهذا هو الشأن الذي سمع الله ما دار فيه من حوار بين رسول الله ﷺ والمرأة التي جاءت تجادله فيه . وأنزل الله فيه حكمه من فوق سبع سماوات ، ليعطي المرأة حقها ، ويسن تشريعا لاستقرار الأسرة ، ويرسم للمسلمين طريقا لعلاج هذه المعضلة العائلية ! وهذا هو الشأن الذي تفتتح به سورة من سور القرآن : كتاب الله الخالد ، بمثل هذا الإعلان : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها ﴾ فإذا الله حاضر هذا الشأن الفردي لامرأة من عامة المسلمين ، لا يشغله عن سماعه تديره ملكوت السماوات والأرض ، ولا يشغله عن الحكم فيه شأن من شؤون السماوات والأرض! (٢) .

﴿ إعطاؤها الأمان والأمان : جعل الإسلام للمرأة حقا في حماية غيرها وإعطائه الأمان ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (إن كانت المرأة لتجبر على المؤمنين) (٣) .
وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره قالت : فسلمت عليه ، فقال : من هذه ؟

١. تفسير ابن كثير ٨ / ٣٦ .

٢. في ظلال القرآن ٦ / : ٥٠٣ بتصرف .

٣. سنن أبي داود باب إعطاء المرأة الأمان ٢ / ٨٤ واللفظ له ، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ١٩٤ .

فقلت : أنا أم هانئ بنت أبي طالب ، فقال : مرحبا بأم هانئ ، فلما فرغ من غسله ، قام فصللي ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ، فلما انصرف . قلت : يا رسول الله زعم ابن أُمي أنه قاتل رجلا قد أجرته ، فلان ابن هبيرة فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ" (١) .

وخرج أبو العاص بن الربيع قبل الفتح تاجرا بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه. فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت جناح الليل حتى دخل على امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته ، فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء. وعند محمد بن عمر: قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها وقالت: أيها الناس إني قد أجزت أبا العاص بن الربيع. فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: " يا أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟" قالوا: نعم. قال: " أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشئ من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، المؤمنون يد علي من سواهم يجير عليهم أديانهم " زاد محمد بن عمر: " وقد أجرنا من أجزارته" (٢) .

ولعل هذه المواقف في الإجارة وإعطاء الأمن والأمان كانت بدافع دعوي ، رغبة في إسلامهم ، أو ممارسة حق إجتماعي كفله الإسلام للمرأة وهو حق الإجارة. < خدمات الوافدين " دور ضيافة " : العرب من أكرم الناس وكانت عندهم ظاهرة ضيافة الغريب القادم وإكرام الضيف الوارد ، هذه الضيافة أخذت الشكل المؤسسي ، الذي ارتبط بقيام دولة الإسلام ، فما الصفة وجعلها مكان ضيافة للفقير والغريب الذي لا عريف له ولا قريب ، إلا مبادرة من الرسول ﷺ ومحفز للصحابة ﷺ وشعرت المسلمات بمسئوليتهم نحو هذا العمل المؤسسي ، فبادر بعضهن في إنشاء بعض دور

١- صحيح البخاري رقم " ٣٤٤ " باب الصلاة في الثوب الواحد .

٢- سبل الهدى والرشاد ٦ / ٨٣ .

ضيافة حسب طاقتهن وقدرتهن ، تجلّى هذا واضحاً عام الوفود حين أقبلت وفود القبائل إلى المدينة لإعلان إسلامها وولائها للدولة الإسلامية ، وشواهد إقامة دور الضيافة التي تشرف عليها النساء ما يلي :

أ . دار رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد وهي من الأنصار، من بني النَّجَّار وتكثرت أم ثابت ، زوج الصحابي معاذ بن عفراء ، ودارها كانت معدة لِنزول الوفود ، دُكِرَ فِي وَفْدِ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي كِلَابٍ وَبَنِي تَعْلَبٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ نَزَلُوا فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ ، وذكر ابن إسحاق أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ حَبِسُوا فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ^(١). فقد حبس نساء اليهود في دارها ودار أسامة بن زيد وكان عددهن خمسمائة.

وتميزت دارها بالسعة ، فكان فيها حديقة واسعة بها نخيل، تسع أعداداً كبيرة من الضيوف ، وشواهد السيرة النبوية تدل على أن هذه الدار استقبلت أكثر من وفد حال السلم ، واستخدمت مكاناً للحجز حال الحرب، ولما قفل رسول الله ﷺ راجعاً من غزوة تبوك ، أتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجة بن حصن ، والحر بن قيس ، فنزلوا دارها ، وقدموا على إبل صغار عجاف وهم مستنون ، فأتوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم ، فقالوا : يا رسول الله ، أسنت بلادنا ، وأجذب جنابنا ، وحربت عيالنا ، وهلكت مواشينا ، فادع ربك أن يغيننا^(٢) . ومن الوفود التي نزلت فيها :

- وفد سلمان سبعة أفراد
- وفد كلاب ثلاثة عشر فرداً.
- وفد مرة ثلاثة عشر فرداً .
- وفد فزارة .
- وفد عبد قيس .
- وفد تيم .

وفد حنيفة

١ . فتح الباري ١٢ / ١٩٣ رقم " ٤٠٢٨ " .

٢ . سبل الهدى والرشاد ٦ / ٣٩٤ .

ب . دار أم شريك الأنصارية : عن فاطمة بنت قيس قالت : .. وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد ... فلما كلمني رسول الله ﷺ قلتُ أمرى بيدك فأنكحني من شئت، فقال : " انتقلني إلى أم شريك " . وأم شريك امرأة غنيّة من الأنصار عظمة النّفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان فقلتُ سأفعل ، فقال : " لا تفعلين إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإني أكره أن يسقط عنك حمالك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلني إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم " (١) .

والشاهد أن أم شريك كانت كثيرة الإنفاق في سبيل الله ، ودارها كانت تمتلئ بضيوف رسول الله القادمين من كل مكان .

◀ القيام بأنشطة إنتاجية ومهنية خادمة للمجتمع :

محور النشاط الخدمي يتمثل في القيام بمهن يحتاجها المجتمع ، ونساء المسلمين في الصدر الأول قمن بأنشطة متنوعة خدمت المجتمع ، أسهمن من خلالها في تنميته ، فضلا عن اكتسابهن خبرات متنوعة ، شغلاً وتنظيماً لأوقاثن في أمر يعود نفعه عليهن وعلى الأمة بالخير ، واستغلالاً لطاقتهن في خدمة المجتمع ، ومن الأنشطة :

الغزل والنسج :

هو صناعة الخيوط من الصوف التي تصير بعد ذلك نسيجاً أو ملابس وأقمشة يستفيد منها الجميع في شتى الأغراض ، فعن سهل بن سعد أن امرأة جاءت ببردة . وهي الشملة منسوج في حاشيتها . إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني نسجت هذه بيدي أكسوكها ، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها ، فخرج إلينا وإنها لإزاره (٢) . وعن حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه ، أنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر سادس ست نسوة ، فبلغ رسول الله ﷺ فبعثت إلينا... فقلنا : يا رسول الله خرجنا نغزل الشعير ونعين به

١ . صحيح مسلم ٨ / ٢٠٣ رقم " ٧٥٣٧ " .

٢ . رواه البخاري في اللباس ، باب : البرود والحبرة والشملة رقم (٥٨١٠) .

في سبيل الله ومعنا دواء الجرحى ونناول السهام ونسقي السويق ، فقال : فَمَنْ حَتَّى إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرَ أَسْهَمٍ لَنَا كَمَا أَسْهَمَ لِلرِّجَالِ ... (١).

دبغ الجلود :

أم المؤمنين زينب بنت جحش . رضي الله عنها . كانت تدبغ الجلود وتتصدق بما تكسبه على المساكين ، أخبر عنها النبي ﷺ بأنها أطول زوجاته يداً ، لكثرة تصدقها ؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : تتبعني أطولكن يداً ، قالت عائشة رضي الله عنها : فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الحائط نتناول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا . قالت : فعرفنا أن النبي ﷺ أراد بطول اليد الصدقة . قالت : وكانت امرأة صناع اليدين كانت تعمل وتتصدق به في سبيل الله ﷺ (٢).

وكانت أم المؤمنين سودة بنت زمعة تحسن أيضا دبغ الجلود والتصدق منها أو الانتفاع بها ، قال ابن عباس ؓ : ماتت شاة لسودة فقالت : يا رسول الله ماتت فلانة ، يعني الشاة . فقال : فلولا أخذتم مسكها . جلدها . فقالت : نأخذ مسك شاة قد ماتت؟! فقال لها رسول الله ﷺ : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ ﴾ فَإِنَّكُمْ لَا تَطْعَمُونَهُ إِنْ تَدْبَغُوهُ فَتَنْتَفَعُوا بِهِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا فَسَلَخْتُ مَسْكَهَا فِدْبَغْتَهُ فَأَخَذَتْ مِنْهُ قَرِيبَةً حَتَّى تَخْرُقَ عِنْدَهَا (٣).

وكذا سائر النسوة فعن أم سلمة قالت أمرنا رسول الله ﷺ بالصدقة ، فقالت : زينب امرأة عبد الله . ابن مسعود . أئجزي من الصدقة أن أتصدق على زوجي وهو فقير؟ وبني أخ لي أيتام ، وأنا أنفق عليهم هكذا وهكذا ، وعلى كل حال؟! قال : نعم . قالت :

١ . سنن أبي داود ٧ / ٣٦٣ رقم " ٢٣٥٣ " السنن الكبرى للبيهقي ٦ / ٣٣٣ وهو منقطع ، وَجَدْتُ حَشْرَجَ هِيَ أُمُّ زَيْنَادِ الْأَشْجَعِيَّةِ .

٢ . الأحاد والمتاني لابن أبي عاصم ٨ / ٤٢١ رقم " ٢٧٣٨ " .

٣ . مسند الإمام أحمد ٦ / ٤٠٣ رقم " ٢٨٧٠ " .

وَكَانَتْ صَنَاعَ الْيَدَيْنِ^(١). وأسماء بنت عميس أتقنت هذه الصناعة وبرعت فيها، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين إهاباً جلدًا . وعجنت عجيني، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم. قالت: فقال رسول الله ﷺ: اثني بني جعفر فأثيته بهم. قالت: فشمهم وذرفت عيناه..^(٢).
التجارة :

مهنة تتمثل في عمليتي المبادلة بيعا وشراء تملিকা وتملكا ، فعن قَيْلَةَ أم بني أنمار قالت أتيت رسول الله ﷺ في بعض عَمْرِهِ عند المروة فقلت: يا رسول الله : إني امرأة أبيع وأشتري فإذا أردت أن أبتاع الشيء سُمْتُ به أقل مما أريد ثم زدت حتى أَبْلَغَ الَّذِي أُرِيدُ ، وَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أبيعَ الشَّيْءَ سُمْتُ به أكثر من الَّذِي أُرِيدُ ثم وضعتُ حتى أَبْلَغَ الَّذِي أُرِيدُ . فقال رسول الله ﷺ : لا تفعلي يا قَيْلَةُ إذا أردت أن تبتاعي شيئًا فاستأمي به الَّذِي تُرِيدِينَ أُعْطِيَتْ أَوْ مُنِعَتْ وَإِذَا أَرَدْتِ أَنْ تبيعي شيئًا فاستأمي به الَّذِي تُرِيدِينَ أُعْطِيَتْ أَوْ مُنِعَتْ^(٣).

والرُّبِيع بنت معوذ كانت تتبع العطر وتتجر به^(٤). يقول رشيد رضا معلقا على هذا في زمانه : بينما نجد المرأة الفرنسية لا تزال مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية والعقود القضائية^(٥).

صناعة أطعمة شهية مبتكرة : تسعد المرأة حين تُعد طعاما شهيا ، وتزداد سعادتها حين يؤكل ويشكرها الأكل عليه ، وتفنن النسوة في إعداد أطعمة لأبناء المجتمع اشتتها

١ . سنن ابن ماجه ٥ / ٤٢٢ رقم " ١٨٢٥ " .

٢ . دلائل النبوة لأبي نعيم ٢ / ٥١ رقم ٤٤١

٣- سنن ابن ماجه رقم " ٢١٩٥ " وأخبار مكة للفاكهي رقم " ٢٠٦٧ " وقال الألباني في الضعيفة و الموضوعة (١٧٧/٥) : ضعيف أخرجه البخاري في " التاريخ " (٤١٨/٢/٤) تعليقا ، و ابن ماجه (

٢١/٢) ، و ابن سعد (٣١١/٨) .

٤ . طبقات ابن سعد ٨ / ٤٤٧ .

٥ . حقوق المرأة في الإسلام لمحمد رشيد رضا ص: ١٥ .

أنفسهم، حتى صارت طعاما شعبيا ، وعرفا اجتماعيا ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليّ سودة بنت زمعة ، فجلست ورسول الله ﷺ بيني وبينها، وقد صنعت حريرة فجننت بها فقلت: كلي، فقالت : ما أنا بذائقتها. قلت : والله لتأكلن منها أو أُلطخن منها بوجهك ... الحديث (١).

وصنعت أم سليم طعاما لرسول الله ﷺ ، فعن أنس قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، قالت أم سليم: يا أنس إن رسول الله أصبح اليوم عروسا وما أرى عنده من غداء، فهلم تلك العكة. فناولتها فعملت له حيسا من عجوة في تور من فخار قدر ما يكفيه وصاحبته، وقالت: اذهب به إليه. فدخلتُ عليه وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب .. الحديث (٢).

الفصل الرابع : دور المرأة بعد عصر النبوة

لم يتوقف دور مشاركة المرأة بعد عصر رسول ﷺ بل شاركت عبر التاريخ الممتد حتى زماننا هذا ، وشعرت أن عليها واجبا لا بد من أدائه ، يتلائم مع طبيعتها كامرأة، وتاريخ الإسلام الاجتماعي شاهد أنها قامت بأدوار لا يقوى عليها سوى العظماء ، لأن المرأة لم تكن بمعزل عن الأحداث العامة والقضايا التي تهم المسلمين وتتعلق بمصالحهم من قريب أو بعيد ، بل أسهمت بنصيب وافر في كل ميدان استطاعت أن تؤدي فيه دورا من الأدوار ومن المواقف الحافلة ما يلي:

◀ استمرار المشاركة في الجهاد ونشر الدعوة :

شاركت في ساح القتال في أكثر من موقف ، إعلاء لراية الإسلام حتى يكون الدين كله لله، ومشاركتها في الجهاد وتحملها لأعبائه ومشاقه صورة لبروز مكانتها الاجتماعية

١ . حديث هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة بن أبان السلمي ص ٢٤٦ رقم " ١٢٥ " ، تحقيق د. عبد الله بن وكيل الشيخ ، دار اشبيليا ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م المملكة العربية السعودية النفقة على العيال ج ٢ ص ٨٦ رقم " ٥٥٩ " .

٢ . الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ١٠٨

ومظهرها من مظاهرها ، فقد شارك في الجهاد عدد لا يحصى من كثرته ، منهم من كان لها بروز بصفة فردية من أمثال :

١- أسماء بنت يزيد بن السكن ، خطيبة النساء ، التي أجادت فن القول . كما سبق .
ومعه فن الجهاد ومواجهة أعداء الإسلام متحملة المواقف الصعاب ، فقد "شهدت موقعة اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها"^(١) ، وشجاعتها . رضي الله عنها . تؤكد شمولية مشاركة المرأة في الإصلاح الاجتماعي بكل أشكاله وصوره المشروعة ، ففعل هذه المرأة التي (كانت درة في كوكبة النساء اللاتي أمرهن خالد بن الوليد ﷺ أن يكنّ وراء الجيش ، وأن يقتلن كل هارب من الرجال)^(٢) يؤكد ذلك .

٢ . أم حكيم بنت الحارث ، زوجة عكرمة بن أبي جهل ، خرجت معه لغزو الروم فاستشهد ، فتزوجها خالد بن سعيد ، فلما كانت وقعة مرج الصفر ، أعرس بها ، عند قنطرة عرفت باسمها بعد ذلك فليل قنطرة أم حكيم ، ثم أوّل عليها فما فرغوا من الطعام حتى وافتهم الروم ، ووقع القتال فاستشهد خالد ، وشدت أم حكيم عليها ثيابها ، وقاتلت فقتلت يومئذ بعمود الفسطاط سبعة من الروم^(٣) .

٣ . أم حرام بنت ملحان ، قالت : قال رسول الله ﷺ - نام في وقت القيلولة . في بيتي فاستيقظ وهو يضحك ، قالت : قلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي مم تضحك؟ قال : ناس من أمتي يركبون هذا البحر كالمملوك على الأسرة ، قالت : قلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت منهم ، قالت : ثم قال فاستيقظ وهو يضحك ، قلت : يا رسول الله مم تضحك؟ قال : ناس من أمتي يركبون هذا البحر كالمملوك على الأسرة ، قالت : قلت : قلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت من الأولين ، فغزت مع

١. الإصابة ٧ / ٤٨٨ .

٢. تحرير المرأة من أوهام المتجاهلين أ . د محمود محمد عمارة ص ١٦ هدية مجلة الأزهر شهر رجب ١٤٢٦ هـ

٣. الإصابة ٨ / ١٩٣ باختصار وتصرف .

زوجها عبادة بن الصامت فوقصتها راحلتها فماتت^(١) وبذلك تحقق ما أخبر به النبي ﷺ وشاركت في الجهاد البحري في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٤ . ومن روائع صوربروز دور المرأة ومكانتها في جهاد المسلمين مع الروم ، أن حبيب بن مسلمة الفهري بلغه أن الموريان الرومي قد توجه ، نحوه في ثمانين ألفا من الروم والترك ، وكان حبيب صاحب كيد فأجمع على أن يُبيت الموريان ، فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبيّة يذكر ذلك ، فقالت له : فأين موعدك ؟ قال : سرادق الموريان أو الجنة ، ثم بيّتهم فقتل من أشرف له وأتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت ، وكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق^(٢).

هذا موقف يجعل من يسمع به مشدوها فهذه المرأة كانت مثالا للمؤمنة المستشعرة المسئولية أمام الله أولا ، وزوجها وأمتها ثانيا ، حين شاركت زوجها في مشاعره وأفكاره الدعوية والتخطيطية في أهم عمل يقوم به في حياته ، فلم تثنه عنه ، مع علمها أن نهايته ربما تؤدي لاستشهادها ، لكن ليس ذلك إليها ، كما أنه يدل أنها تربت على حب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله . وسؤالها عن موعد اللقاء ، وجواب زوجها عليها يوحي في ظاهره بمشاركة سابقة ، وخروجها للجهاد يؤيد هذا ، ويعطي إشارة لكفاءتها ومدى تشجيعها لزوجها ومؤازرتها له لا تشيبتها إياه ، وبالتالي يتضاعف مجهوده تبعا لاستقرار نفسه وراحة قلبه وهدوء باله جراء هذه المؤازرة من زوجته ودفعتها إياه ، على الرغم من أن طبيعة المرأة اللين وإيثار السلامة والبعد عن المخاطر ، إلا أنها هنا تدفع زوجها لاقتحام الأهوال والدخول في عملية فدائية عالية ، طبيعتها المخاطرة ، يدل على أنها كانت امرأة من طراز خاص ، لأنها دفعت زوجها لاقتحام هذه الأهوال وغامرت معه ولم تقف متفرجة عليه ، أو مستمعة ومتسمعة لأخباره ، والأعجب أنها خرجت بنفسها في

١. الطبقات ٨ / ٤٣٥ ، صفة الصفوة ٢ / ٧٠ .

٢. تاريخ الطبري ٢ / ٥٩٢ .

الجهاد بصفة عامة وهذا الموقف خاصة ، وفاقت زوجها فسبقته إلى سرادق قائد الروم^(١).

. البروز الجماعي العام :

كانت النماذج السابقة لدور بعض النسوة بصفة فردية ، وهو بطبيعة الحال لا يوحي بأنه لم توجد نماذج جماعية عامة ، لأن شواهد النماذج الجماعية أكثر من أن تعد ، خاصة في ساح الجهاد وحب الاستشهاد ، ومن النماذج المشرفة في ساح الجهاد لنسوة بعن أنفسهن لله والله اشترى نقتبس نموذجاً لمعركة حربية من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي ، شاركت فيها المرأة وبرزت فيها مكانتها الجهادية ، إنها معركة اليرموك ، يُحدث الواقدي قائلاً : قال حزام بن غنم: قلت : لرجل ممن شهد اليرموك أكانت النساء معكم مشاهدات القتال؟ قال: نعم، إحداهن أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام ، وخولة بنت الأزور ، ونسيبة بنت كعب ، وأم أبان زوجة عكرمة بن أبي جهل ، وعزة بنت عامر بن عاصم الضمري مع زوجها مسلمة بن عوف الضمري ، ورملة بنت طليحة الزبيري ، ورعلة ، وأمamah ، وزينب ، وهند ، ويعمر ، ولبنى ، وأمناهن . رضي الله عنهن . فلقد كن يقاتلن قتالاً يرضين به الله ورسوله .

وكانت النسوة يستقبلن أزواجهن ويخففن عنهن من وطأة المعركة ويداوين جراحاتهم ، ويشجعنهم على المضي قُدماً في العدو للقتال يقول الواقدي : (واستقبل المسلمون نساؤهم فصارت تجعل المرأة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له أبشر بالجنة يا ولي الله) .

وهذه سعيدة بنت عاصم الخولاني تذكر خبر بروزهن يوم اليرموك قائلة : (كنت في جملة النساء يومئذ على التل ، فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار ، وكانت من المترجلات البازلات، ونادت : يا نساء العرب دونكن والرجال ، واحملن أولادكن على أيديكن واستقبلنهم بالتحريض ، فأقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل

١راجع التاريخ الإسلامي د . عبد العزيز الحميدي ٦ / ٣٧٨ .

بالحجارة ، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته . تعني بذلك الجنة . وجعل النساء يقلن لأزواجهن لستم لنا ببعولة إن لم تمنعوا عنا هؤلاء الأعداء ، وقال العباس بن سهل الساعدي : كانت خولة بنت الأزور ، وخولة بنت ثعلبة الأنصارية ، وكعوب ابنة مالك بن عاصم ، وسلمى ابنة هاشم ، ونعم ابنة فياض ، وهند ابنة عتبة بن ربيعة ، ولبنى ابنة جرير الحميرية ، متحزمت وهن أمام النساء (١)

هذه مواقف من نماذج كُثُر فهذه معركة واحدة حضرها هذا العدد الكبير من النسوة فكيف بغيرها من المعارك التي وقعت في نفس الوقت أو قريبا منها ، وكيف بالمعارك التي جاءت بعدها ، لقد كان في القادسية إجمالي عدد المشاركات ما يقرب من الستمائة (٦٠٠) امرأة أو يزيد.

وصل الخبر لخالد بن الوليد أن : ضرار بن الأزور أسر بيد الروم، وأنه قتل من الروم خلقاً كثيراً فعظم ذلك على خالد، وقال: في كم العدو؟ قالوا: في اثني عشر ألف فارس. فقال: والله ما ظننت إلا أنهم في عدد يسير، ثم سألت عن مقدمهم من يكون؟ فقبل وردان صاحب حمص، وقد قتل ضرار ولده همدان، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم أرسل إلى أبي عبيدة يستشيريه فبعث إليه أبو عبيدة : اترك على الباب الشرقي من تثق به وسر إليهم فإنك تطحنهم بإذن الله تعالى... فلما وصل الجواب إلى خالد ، أوقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه ومعه ألف فارس، ثم تقدم أمام القوم ، وبيننا هو كذلك إذ نظر إلى فارس على فرس وبيده رمح وهو لا يبين منه إلا الحدق والفروسية تلوح من شمائله، وقد سبق أمام الناس كأنه نار، فلما نظره خالد قال: ليت شعري من هذا الفارس وأيم الله إنه لفارس شجاع، ثم اتبعه خالد والناس، وكان هذا الفارس أسبق الناس إلى المشركين. فحمل على عسكر الروم كأنه نار محرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم، ثم غاب في وسطهم فما كانت إلا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بدماء الروم، وقتل رجالاً وجندل أبطالاً وعرض نفسه للهلاك، ثم اخترق

١- راجع فتوح الشام أبو عبد الله بن عمر الواقدي ١ / ١٩٧ - ٢٠٦ ط دار الجبل بيروت .

القوم غير مكثرث بهم ولا خائف ، فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسلمين.

قال فتأملوه فأروه قد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الأعداء، أكشف لنا عن لثامك، فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال له: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك، من أنت؟ فخاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث، وقال: إنني يا أمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أي محرقة الكبد زائدة الكمد. فقال لها: من أنت. قالت: خولة بنت الأزور ، المأسور بيد المشركين أخي : ضرار وإني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأن ضرار أسير فركبت وفعلت ما فعلت.

قال عامر بن الطفيل: عظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور، وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة. ولما حمل خالد ومن معه إذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ، وثبت المسلمون لقتال الروم ، وأما خولة بنت الأزور فإنها جعلت تجول يميناً وشمالاً تطلب أخاها..^(١).

كانت كوكبة النساء في اليرموك والقادسية فوق مستوى الموقف فهذا العدد من النساء المقاتلات ، حجة تُحبط الزعم القائل بقرار المرأة في بيتها وعدم مشاركتها في تغيير واقع أمتها من السيئ إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن. (على ضوء هذه المبادئ الإصلاحية الجذرية التي أعلنها الإسلام قام في الدنيا لأول مرة مجتمع تحترم فيه المرأة كإنسان كامل الأهلية ، وتلاقي من المجتمع الاحترام اللائق بما كزوجة وأم صانعة للأبطال والعظماء ، وتصان سمعتها عن اللغو وأقاويل السوء بعدم اختلاطها المشبوه مع الرجال إلا في أماكن العبادة ، ومجالس العلم ، ومعارك التحرير ، وفي هذه الأماكن كانت لها مجالسها الخاصة بما ولباسها المحتشم ، ووقارها المتدين فما كانت تتعلق بما الأعين ، ولا

تتطلع إليها النفوس ، بل كانت إذا مرت تُغض الأبصار حياءً ، وإذا جلست تنصرف الوجوه عنها احتراماً ، وإذا حاربت تخفق لها القلوب إكباراً وتقديراً^(١).

﴿ بروز دورها في التفقه في دينها ودعوة بني جنسها :

وجد على مر التاريخ الإسلامي بعد عصر النبوة نسوة قمة في الفقه والعلم ، ومحط أنظار كثير من العلماء أعدادهن تجل عن الحصر من أمثال حفصة بنت سيرين ، وأم الهذيل الأنصارية وكثير غيرهن ولم يكن عددهن قليلاً في أي من القرون ، وكن من الكثرة بمكان ، فابن سعد في الطبقات أفرد مجلداً لذكر الرواة من النساء في كل طبقة من الطبقات ، وهذا يبرز دور المرأة ومكانتها الاجتماعية في جانب التفقه والتعلم ونشر الدعوة إلى الله تعالى على مر الزمن وتعاقب الدهر. وأفرد أبو عبد الرحمن السلمي مؤلفاً خاصاً بذكر النسوة المتعبدات^(٢) ضمنه حوالي ما يقرب من (٨٠) ثمانين امرأة ما بين عابدة وفقهية وغيرهما. وربما وجدنا من النساء من لم تكن عالمة غير أنها عملت على نشر العلم والمساهمة في عملية التعليم ، وهاتان واقعتان تدلان على هذا :

١ . ذكر في خطط الشام في أحداث سنة ٥٨٠ هـ ويعدها أن من النساء الخواتين ذوات الأقدار من كانت تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة ، وتنفق فيها الأموال الواسعة ، وتعين لها من مالها الأوقاف^(٣). فانظر كيف كان الإقبال على بناء المدارس والمساجد وما إليها من دور العلم أو الذكر والوعظ ، هذا الإقبال الذي شمل كل ذي قدرة من ملوك وأمرأة ومشاركة واضحة من النساء.

٢ . ذكر الشيخ محمد الغزالي عن امرأة شاهدها بداية حياته اسمها الخازندارة قامت ببناء مسجد بمنطقة شبرا . القاهرة مصر . قوله " أجيال كبيرة من علماء الأزهر الذين تخرجوا في كلية أصول الدين مدينون لامرأة محسنة وقفت مالها لله وأنشأت منه مؤسسات يتفجر

١. المرأة بين الفقه والقانون ص ٤٦ " سابق " .

٢. طبع هذا المؤلف في مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م بتحقيق د. محمود محمد الطناحي .

٣. سلطان العلماء على الجمبلاطي ، أحمد محمد حسن ص ٣٠ ، ٣١ ط مكتبة الأنجلو المصرية سنة

الخير منها منذ عشرات السنين وسيبقى كذلك ما شاء الله . ثم يقول : وأنا واحد من هؤلاء الذين نالهم ذلك العطاء الدافق : فقد انتظمت بين طلاب هذه الكلية من نصف قرن أو يزيد ، وتلقيت الدروس من أفواه جملة من أكابر علماء الأزهر ، وقادة الفكر الإسلامي ، أتيحت لهم فرصة التعليم في قاعات المبنى الذي أنشأته الخازندارة ملحقا بمسجدها الجامع الفخم ، وكانت الدراسة تبدأ أول العام بحفل في المسجد الكبير ، ثم يذهب الطلاب إلى صفوفهم ، وكانت الكلية للدراسات والشهادات العالية ، أما الدراسات الأعلى فكانت تنشأ لها حلق داخل المسجد نفسه ، وهي حلقات صغيرة بطبيعتها ، وزادت أعداد الطلبة ، ثم يذكر الشيخ الغزالي أنها امرأة بألف رجل لأنها لم تكتف بهذا بل بنت ملجأً للأيتام يؤويهم ويغذيهم ويكسوهم ، ورصدت من مالها ما يكفيهم ويسع حاجتهم ، ثم بنت مستشفى ، والحق أن جميع الناس في زمانها دعوا لها لأنها بنت معهدا ومسجدا وملجأً ومستشفى ، فأى قلب زكي في صدر هذه المرأة التي أقرضت الله قرضا حسنا ، وادخرت عنده ما ينضر وجها يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فرحم الله هذه المرأة التي استودعت هذا المال الله ، وجاهدت في سبيله بتقديم المال والدواء والعلم والزاد للجوع ، وألهم الرجال والنساء الاقتداء بها^(١) .

﴿الوعظ والتبليغ العام :

عرفت الآداب العالمية قلة من النساء برعن في الشعر والكتابة والفنون عامة ، لكنها لم تعرف ما عرفه الإسلام من نسوة وعظن وذكرن الرجال ، أو تفوقن في قول الشعر . كما سبق ذكره في موضوع المرأة والإعلام . وهذه شهادة الدكتور أحمد الحوفي يقول فيها : " ولو رجعنا إلى ما دون من خطب اليونان والرومان ، لم نكد نظفر باسم أنثى واحدة بين ذلك العدد العديد من الرجال ، ولو رجعنا إلى كتاب في تاريخ الأدب الفرنسي من نشأته حتى عصرنا هذا فلن نظفر باسم امرأة واحدة بين عشرات الأسماء من الرجال الخطباء من عهد بودان وسان فرانسوا دي سال ، إلى عهد جول فافر ولاكورديروغامبتا

وديدون . ولن نرجع من البحث بجدوى حين نفتش في تاريخ الأدب الإنجليزي عن خطيبة واحدة ، إلا ما يصادفنا من أسماء بعض المتحدثات أو المتكلمات في العصر الحديث ^(١) .

وهذه أم الخير بنت الحريش بن سراقبة البارقية : حاورها معاوية فأدهش بفصاحتها وقوة حجتها وجزالة ألفاظها ، في الوعظ والتذكير ، فعن الشعبي قال : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن أوفد عليّ أم الخير بنت الحريش بن سراقبة البارقية ، فلما قدمت عليه قال لها : كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر؟ قالت : لم أكن والله رأيته قبل ، ولا رأيته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة ، فإن شئت أحدثت لك مقالاً غير ذلك ، قال : لا أشاء ، ثم التفّت إلى بعض أصحابه ، فقال : أيكم يحفظ كلام أم الخير؟ فقال رجل : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي لسورة الحمد ، قال : فهاته ، قال : نعم . كأي بها كالفحل يهدر في شقشقتة تقول : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ ^(٢) . إن الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مبهمة ، ولا شعواء مدلهمة ، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم رغبةً عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق؟! أما سمعتم الله يقول : ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ، وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ ^(٣) .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنه قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وببئك اللهم أزمة القلوب ، فاجمع اللهم الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، وردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، إنما احن بدرية ، وضغائن أحدية ، وأحقاد جاهلية ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بثارات بني عبد شمس . ثم قالت : " قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِيَّاهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ " ^(٤) .

١. فن الخطابة د . أحمد محمد الحوفي ص : ٢٠٧ ، ط مكتبة نضرة مصر ، الثانية ١٩٩٨ م .

٢. سورة الحج الآية : ١

٣. سورة محمد الآية : ٣١

٤. سورة التوبة جزء من الآية : ١٢

صبراً معاشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، فكأنى بكم غداً قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة. لا تدري ما يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى و ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَ مَنْ نَادَمِ﴾^(١) ، حين تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة، ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٢) . إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل النار.

أيها الناس : إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطلوا مدة الآخرة فسعوا لها. والله أيها الناس لولا أن يبطل الحق، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان لما اختاروا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه. إلى أين تريدون رحمكم الله أيها الناس عن ابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته، وأبي ابنه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته، وأعلم بحبه المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، فلم يزل كذلك حتى أيده الله بمعونته، يمضي على سنن استقامة، لا يفرح لراحة اللذات بها، وهو مفلق الهام، مكسر الأصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الله به الأحزاب، وقتل أهل حنين، وفرق جمع هوازن. فيالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً، وردةً وشقاقاً. قد اجتهدت في القول، وبالغت في النصيحة.^(٣)

هذه خطبة رفعت همما وحركت المشاعر بقوة الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، ودلت على تمكنها من حفظ كتاب الله تعالى ، واقتباسها منه وتضمينه الخطبة ، إضافة إلى رصانة العبارة وقوة الذاكرة ، في عرض الأحداث التاريخية وذكرها مناقب عليّ ﷺ .
الزرقاء بنت عدي الهمدانية أو الهمدانية:

١ . سورة المؤمنون الآية : ٤٠ .

٢ . سورة ص الآية : ٣ .

٣ . مختصر تاريخ دمشق - ج ٨ ص : ٣٣٧ ، ٣٣٨ العقد الفريد ج ١ ص ١٢٨ ، صبح الأعشى ج ١ ص

: ١٠٤ .

خطيبة، من أهل الكوفة، شهدت مع قومها واقعة صفين، وخطبت فيها مرات تحرض الناس على قتال معاوية ، ولما تم الامر له استدعاها، فأحضرت إليه، وحاورته طويلاً، ثم عادت، وقد أعجب بفصاحتها^(١). حين قال لها: بعثت إليك لأسألك هل أنت الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين، وأنت بين الصفين توفدين الحرب وتحضين على القتال؟ فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إنه قد مات الرأس وبتر الذنب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والامر يحدث بعده الأمر. فقال لها: صدقت، فهل تحفظين كلامك يوم صفين؟ قالت: والله ما أحفظه. قال: لكني أحفظه، لقد سمعتك تقولين: أيها الناس، قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلايب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها من فتنة عمياء صماء لا تسمع لقائلها، ولا تنقاد لسائقها. أيها الناس: إن المصباح لا يضيء في الشمس، ولا الكواكب تبصر في القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار، فكأن قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، وغلب الحق باطله، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف وأنى، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. ألا إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، وللصبر في الأمور عواقب، إيهاً إلى الحرب قدماً غير ناكسين، وهذا يوم له ما بعده^(٢).

◀ استمرار النصيحة وابداء الرأي بكل صراحة ووضوح :

أبدت المرأة رأيها في عهده ﷺ واعتادت الأمة ذلك منها وقبلته ، وكان الأمر طبيعياً بعد رسول الله ﷺ أن يكون للمرأة أدوار ومواقف تناقش فيها وتبدلي برأيها وتبدي النصيحة لأي إنسان مهما كان ، وهذه امرأة من عوام نساء الأمة تقف أمام الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ ، تراجعته بنصيحة حين عرض مسألة غلاء المهور، وبهذا الموقف وغيره برز أثر مشاركة المرأة في الأمور العامة، فقامت من خلف

١. الأعلام للزركلي ٣ / ٤٤ .

٢. مختصر تاريخ دمشق ٣ / ٢٥٠ .

الصفوف على ملام من الناس مذكرة الخليفة بقول الله ﷻ ﴿وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(١).

وفي تفسيرها روى أبو عبد الرحمن السلمي قال: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في مهور النساء. فقالت امرأة: ليس ذلك لك يا عمر، إن الله تعالى يقول: "وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا مِنْ ذَهَبٍ". قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود: "فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً" فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصمته، وفي رواية قال عمر بن الخطاب: لا تريدوا في مهور النساء وإن كانت بنت ذي العَصَّة - يعني يزيد ابن الحسين الحارثي - فمن زاد ألقىت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة - من صُفَّة النساء طويلة، في أنفها فَطَسٌ - : ما ذاك لك. قال: ولم؟ قالت: لأن الله تعالى قال: ﴿وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ الآية. فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ^(٢).

وهي بقولها هذا على ملام من الناس مارست النصيحة في مكان مفتوح أمام جمع من الأمة، تناولت فيه التعقيب بالنقد على الرجال، أو على الخلفاء والولاة فيما قد يخطئون فيه، وهي بهذا تعتبر ممن مارس رقابة عامة على الأمة حكاما ومحكومين.

ومن صور النصيحة أن عمر ﷺ أيام خلافته خرج ومعه الناس، فمر بعجوز فاستوقفته فوقف، فجعل يحدثها وتحديثه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز؟! فقال: ويلك أتدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ الآيات، والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقها إلا للصلاة ثم أرجع إليها.

وفي رواية، أن عمر خرج من المسجد ومعه الجارود العبدي فإذا بامرأة برزة على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر فردت عليه السلام، فقالت: هيهات يا عمر عهدتك وأنت

١. سورة النساء الآية: ٢٠.

٢. تفسير ابن كثير تفسير ٢ / ٢٤٤.

تسمى عميرا في سوق عكاظ ترزع الصبيان بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال الجارود : قد أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة ، فقال عمر : دعها أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر أحق والله أن يسمع لها^(١).

هذه امرأة تُوقف الخليفة أمام مرأى ومسمع من الناس ، الراكب والماشي يراها، وبحضور بعض الرعية ليسمع النصيحة كالجارود أو غيره كما في الرواية الأولى، وتأمره وتنهيه فيسمع لها ﷺ ويعمل على قضاء حاجتها ، بل ويبرر موقفها وشدتها عليه في النصيحة ، بتذكير الصحابة ﷺ بمناقبها وفضائلها ، فأى نوع من النساء كانت تلك النسوة اللاتي لا يهين في الحق ونصح الخليفة إلا الله ولو كان في مكان عام ، استشعارا للمسئولية ونصحا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ولو كان المنصوح فاروق الأمة ﷺ ومحدثها الذي كان الشيطان يفرق منه.

◀ اقتباس الأفكار المفيدة والنافعة من الغير أيا كان مصدرها :

أول نعش في الإسلام كان فكرة امرأة وتنفيذ امرأة أخرى، فاطمة بنت رسول الله ﷺ أول من جعل له النعش في الاسلام، عملته لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رآته يصنع في بلاد الحبشة. فقد قالت لأسماء: إني لأستحيي أن أخرج غدا على الرجال فيروا من خلاله جسمي. قالت: أولا نصنع لك شيئا رأيته بالحبشة؟ فصنعت النعش. فقالت لها فاطمة رضي الله عنها : سترك الله كما سترتني^(٢). وفي رواية أنها " لبثت بعد رسول الله ﷺ سبعين بين يوم وليلة، فقالت: إني لاستحيي من خلل هذا النعش إذا حملت فيه، فقالت لها امرأة ، إن شئت عملت لك شيئا يعمل بالحبشة، ويحمل فيه النساء، قالت:

١. الإصابة ٧ / ٦٧٠.

٢ - الأعلام للزركلي ٥ / ١٣٢ .

أجل فاصنعيه، فصنعت النعش، فلما رآته، قالت : سترك الله. قال: فما زالت النعوش تصنع بعدها^(١).

وبهذا نرى شدة حياء فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، ونرى استفادة أسماء بنت عميس مما في المجتمعات الأخرى ، ولو كانت مجتمعات غير مسلمة، فالحكمة ضالة المؤمن ينشدها في أي وعاء وهو أحق بما متى وجدها ، ما لم تتعارض أو تخالف أمرا من أوامر الشريعة ، ونرى كذلك مدى تقبل المجتمع المسلم لهذه الفكرة الجديدة وطريقة تنفيذها ، لأنه كان مجتمعا متفاهما متعاوننا ، والمرأة بهذا حققت مقصدا من مقاصد الشرع وهو تحقيق معنى الستر.

المبحث الثاني : ضوابط مشاركة المرأة اجتماعيا :

لا يعنى ما أُلحنا إليه في هذه الدراسة أن تشارك المرأة دون ضابط، أو تطغى على ما يخص الرجل من وظائف فطرية ، خلقها الله في الرجال وتميزوا بها على النساء ، أو أن نرى ونسمع عن صور الجنون في المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في ميادين الأعمال، بل لابد من مراعاة وظائف كل منهما ، ودور المرأة الاجتماعي لا بد له من ضوابط يجب مراعاتها هي :

- الإخلاص: فالله أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه.
- الإلتباع لا الابتداع: فالله أكمل الدين، والنبي ﷺ بلغ الرسالة ، ومن أحدث في الإسلام ما ليس منه فهو ردٌ ، وكل بدعة تميمت سنة يجب محاربتها والعمل على إزالتها.
- العلم بما تدعو إليه المسلمة: فمسائل الشرع لا تحتتمل تغليب الظن أو الكلام بالرأي : قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(١).

- الصبر والتفاؤل لأنه يستوجب معية الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢)، وهو وصية الله لنبيه ﷺ ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾^(٣) ووصيته للمسلمين ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾^(٤).
- الاستعانة بالله والتوكل عليه : في الصغير والكبير ، وفي كل الأمور .
- مراعاة ضوابط الشرع في التعامل مع الرجال : من التزام اللباس الشرعي، وعدم الخلوة، والبعد عن أماكن الريبة ، والتحدث بقدر الحاجة ... إلخ .
- معرفة الثابت والمتغير في مسائل الشريعة : والتمييز بين الثابت الذي لا يجوز الاختلاف فيه ، والمتغير الذي يجوز فيه الاجتهاد ، ومن الثوابت مسائل الإيمان، وأصول الأخلاق وقواعد التشريع، وأصول الفقه، والمتجدد كل ما يدخل في باب الاجتهاد، كالنوازل ، والمعاملات المتجددة... إلخ .
- القدوة : فأول خطوة لقبول الدعوة القدوة الحسنة ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٥)
- الحكمة : وهي فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي ، فيجب مراعاة الوقت والمكان والموضوع المناسب ، لأن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، وعند تعارض المصلحتين يُنظر في أعلاهما، وعند تعارض المفسدتين تُدفع أعظمهما ضرراً وهكذا .
- لين الجانب : وصية الله لأكمل الناس خُلُقًا وخلقًا وقال ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُضِّقْنَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾^(٦) .

١ . سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

٢ . سورة البقرة الآية : ١٥٣ .

٣ . سورة المدثر الآيات من ١ - ٧ .

٤ . سورة العصر الآية : ٣ .

٥ . سورة البقرة الآية : ٤٤ .

٦ . سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

• عدم السخرية من الآخرين : فهي مفتاح القلوب ، وزيادة للمسلم عند الله رفعة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾^(١).

• تنوع الخطاب : بين الفقه الميسر والرفائق وغير ذلك ، مراعاة لطبيعة النساء وحاجتهن، والحرص على بثّ الإيمان في صفوف النساء، وربط حياتهن بالله، فذلك وحده كفيلا بتغيير المنكرات التي تعترى مجتمعات النساء .

• التيسير والتدرج : وهو وصية رسول الله ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن قال له " فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم ..."^(٢).

المبحث الثالث : الوظائف المناسبة للمرأة في العصر الحاضر

ليست كل الوظائف صالحة لعمل المرأة ، وهذه بعض الوظائف التي تصلح كمجال عمل لها :

١ . التدريس في المدارس والجامعات : ميدان التدريس من ميادين بناء المجتمع ، وله عظيم الأثر ، ومشاركة المرأة فيه بجدية وإخلاص ، يتبعه تأثير بالغ الأهمية على الناشئة من أبناء المسلمين ، والمرأة حين تعمل في هذا المجال ، تقوم بمهمة من أعظم المهام لأنها تتحمل مهمة بناء الأمة ، متمثلة في تربية أبنائها وبناتها الذين هم رجال ونساء المستقبل

١ . سورة الحجرات الآية : ١١ .

٢ . أخرجه البخاري رقم " ١٤٠١ " باب أخذ الصدقة من الأغنياء .

، فتغرس فيهم الفضائل. وهي بجدها واجتهادها ، وإخلاصها في عملها هذا ، إن لم تخرج أفاض العلماء أخرجت للأمة المتميزات من الصالحات الداعيات إلى الله المؤمنات المخلصات .

وصايا لمربية الأجيال :

- كوني قدوة حسنة لطالباتك في : الالتزام بأوامر الشرع في اللباس والأخلاق والتواضع والنصيحة وغيرها، من أخلاق حملة القرآن والسنة النبوية.
- تعرفي على طالباتك ، واجتهدي أن تكسي قلوبهن وتخيري أحسن الطرق وأقوم السبل ، فذلك يساعدك في التأثير فيهن ، واستيعابهن للدروس وفهم شرحك فقلوبهن تعلقت بك .
- اجتهدي أن تقدمي المساعدة لطالباتك وكوئي نموذجا صالحا وعضوا نافعا في المجتمع.
- لا تقتصري على ما يقدم داخل حجرة الدراسة ، واجعلي وقتنا تلتقين فيه معهن بعيدا عن الدرس فهذا أفضل وثمرته سترينها سريعة إن شاء الله .
- افتحي عيون طالباتك على ما يلزمهن من قضايا الإيمان بالله تعالى وصحة العبادة ، مع سلامة العقيدة ، واربطي ذلك كله بالهدف الأسمى من الرسالة الخاتمة وهو حسن الخلق .
- إذا عرض في أحد الدروس مادة علمية تعرف طالباتك على الخالق سبحانه ، فاربطهم بالله وقدرته في خلقه ، لأنه يولد في النفوس تقديس الله وتعظيمه

٢ . التطبيب والتمريض :

أهميته تكمن أنه وسيلة لخدمة المجتمع والتقرب إلى الله تعالى بالقول اللين مع المرضى وشرح صدورهم للعلاج ومحاوله التخفيف عنهم ، وربطهم بالله وبث الثقة في نفسية المريض ، وتذكيره أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع ، وأن الصبر على المرض يرفع

درجات المؤمن ، وسؤال الله الشفاء فهو الشافي ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾^(١) ،
 وحديث المرأة التي أتت الرسول ﷺ فقالت: إِنِّي أُصْرَعُ وَأَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي ، قَالَ :
 إِنَّ شِئْتِ صَبْرَتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ لَكَ أَنْ يُعَافِيكَ ، قَالَتْ: لَا بَلْ
 أَصْبِرُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ ، أَوْ لَا يَنْكَشِفَ عَنِّي قَالَ فَدَعَا لَهَا^(٢) .

وصايا للطبيبة " ملائكة الرحمة من البشر كما يسمون " عليك بالتحلي بالآتي :

- بآداب الإسلام في اللباس والأخلاق خاصة الحلم وسعة الصدر ،
 وإشعار المرضدائما بالأمل الكبير في الله سبحانه وتعالى ، ورفع معنويتهم بالنافع
 لهم .
- اعتبار هذا العمل قربة إلى الله تعالى ، ليس مشروعاً تجارياً أو استثمارياً ، لذا
 يجب العمل على راحة المرضوإسعافهم ، قربة إلى الله ومحاوله للتخفيف عن عباد
 الله تعالى .
- رحمة المرضي وسرعة تلبية نداء إسعافهم ، وعدم إهمالهم عن عمد ، تحت
 مسمى كثير من الدعاوى الباطلة والتعلات الزائفة .
- العمل في الأماكن المعروفة بالسمعة الطيبة والسيرة الحسنة ، وفي الوسط الذي
 يحتاج إليك حتى يعظم الثوابفعلى قدر الجهد والمشقة تكون الثمرة والثواب .
- احرصى على تقديم يد العون والمساعدة التي تمنع أعداء الإسلام من استغلال
 عوز المسلمين واحتياجهم الطبي ، حتى لا يقعوا فريسة بأيدي المنصرين وغيرهم
 ، فيطلعوا على عورات المسلمات ويعملوا على محو هويتهم الإسلامية
 وانسلاخهم من دينهم .

١ . سورة الشعراء الآية :

٢ . مسند أحمد ٧ / ١٠٣ رقم " ٣٠٧٠ " .

• كوني ملمة بأحكام الشريعة في مجال تخصصك حتى لا تقعي في محذور شرعي ،
وبهذا تكوني قد جمعيتين الطب وهداية الضال وتحصيل الثواب^(١).

٣ . اختيار عمل لا يخل بأداب الإسلام يساعد على تبليغ الدعوة وخدمة المجتمع : ذلك
أن مجالات العمل تتفاوت وتتغير وتكثر من مجتمع لآخر ، فقد تجد المسلمة عملا غير ما
ذكر يناسبها ويخدم مجتمعا ، والأعمال كثيرة تجل عن الحصر .

المبحث الرابع : نماذج من النساء المشاركات في الجانب الاجتماعي :

برزت في سماء التاريخ المعاصر نماذج لنساء شاركن في العمل الاجتماعي على أكمل
الوجوه ، دعاهن لذلك حب الله ورسوله والاهتمام بالإصلاح ، وتحملن الكثير من
المشاق والصعاب ، ومن النماذج المشرقة التي سطرها تاريخ مشاركة المرأة في موكب
الإصلاح برزت عدة أسماء منهن :

أولا : نموذج من العصور الوسطى :

شجرة الدر : ت (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م) شجرة الدر الصاحية ، أم خليل ، الملقبة
بعصمة الدين : أصلها من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وحظيت عنده ،
وولدت له ابنه خليلا ، فأعتقها وتزوجها ، فكانت معه في البلاد الشامية ، لما كان مستوليا
على الشام ، مدة طويلة .

ثم لما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة ، كانت في بعض الاحيان تدير أمور الدولة عند
غيابه في الغزوات . وكانت كما يقول ابن إياس : (ذات عقل وحزم ، كاتبة قارئة ، لها
معرفة تامة بأحوال المملكة ، وقد نالت من العز والرفعة ما لم تنله امرأة قبلها ولا بعدها)
يقول سبط ابن الجوزي : (كانت تكتب خطا يشبه خط الملك الصالح ، فكانت تعلم
على التواقيع) ولما توفي الملك الصالح (سنة ٦٤٧ هـ) بالمنصورة ، والمعارك ناشبة بين
جيشه والافرنج ، كانت عنده ، فأخفت خبر موته ، واستمر كل شيء كما كان : السماط

١ . راجع في هذا القدوة على طريق الدعوة ص ١٩٩ ، المرأة الداعية ص ١٥٤ . ١٥٧ .

يمد كل يوم، والامراء في الخدمة، وهي تقول: السلطان مريض ما يصل أحد إليه. وأرسلت بعض رجالها إلى ابنه (توران شاه) وكان في حصن كيفا، فحضر. وحين علمت بوصوله إلى القدس - في طريقه - انتقلت هي إلى القاهرة، فبعث يهددها، ويطلب المال والجواهر، فخافت شره. واستوحش منه بعض المماليك فقتلوه. وقد واجهت عدّة مشكلات، استطاعت أن تجتاز بعضها، فقد تمكّنت من مواجهة خطر الفرنجة بعقد معاهدة معهم، فرحلوا عن البلاد وتعهدوا بعدم العودة إليها، ودفعوا فدية كبيرة مقابل الإفراج عن ملكهم وأسراهم. ونجحت في إدارة البلاد إلى حدّ كبير، فضربت السكّة باسمها، وأقامت عز الدين أيبك - أكبر المماليك الصالحية ووزير زوجها - وزيراً لها. وتزوجها سنة ٦٤٨ هـ بعد ثمانين يوماً من حكمها^(١).

ثانياً : من أرض الحرمين :

سُطرت في تاريخ دعوة الإصلاح التي قام بها الشيخ : محمد بن عبد الوهاب كثير من المؤلفات، وحديث هذه السطور عن صفحة ناصعة لبعض النسوة اللاتي شاركن التمكين لهذه الدعوة الاصلاحية فكان لهن تأثير ونفع في هذه الأمة ومنهن:

١. موضي بنت وهطان زوج الإمام محمد بن سعود، حضّت زوجها على مناصرة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لما قدم الشيخ إلى الدرعية . فقد كان للإمام محمد بن سعود زوجتان : أولاهما موضي بنت ابن وهطان، وهي من أسرة من آل كثير، ولاتزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد، وهي من آل فضل الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة، من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الهجري. وآل فضل من قبيلة طيبي المعروفة. والثانية بنت الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٢).

١. راجع الأعلام للزركلي ٣ / ١٥٨.

٢. راجع أرشيف ملتقى أهل الحديث رقم " ٥ " / ٧٢ / ١٨٣ مقال بعنوان نماذج نسائية من الدعوة السلفية بجزيرة العرب ، د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ، والإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة ١ /

ووصف مؤرخ نجد ابن بشرموضى بقوله : " وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة " ، ولما انتقل الشيخ ابن عبد الوهاب إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، بدأ التزاور بين خصائص أهل العلم من الدرعية ولما علموا بثبات دعوة الشيخ وأنها على سبيل الرسول ﷺ أرادوا أن يشيروا على ابن سعود بنصرته، فهابوه ، فأتوا زوجته موضي بنت أبي وهطان وأخواه ثنيان ومشاري ، فأخبروهم بمكان الشيخ وصفة دعوته ، فوقر في قلوبهم معرفة التوحيد ومحبة الشيخ .

ودخل محمد بن سعود على زوجته فأخبرته بمكان الشيخ وقالت له هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به ، فقبل قولها ثم دخل على أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشاروا عليه مساعدته ونصرته ، فأراد أن يرسل إليه، فقالوا له : سر إليه برجلك في مكانه وأظهرت عظيمه والاحتفال به، لعل الناس أن يكرموه ويعظموه ، فذهب محمد بن سعود إلى مكان الشيخ ورحب به وأبدى غاية الإكرام والتبجيل وأخبره أنه يمنع بما يمنع به نساءه وأولاده . قال : أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعزة والمنعة ، فقال الشيخ : وأنا أبشرك بالعزة والتمكين وهذه كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها؛ ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وأنت ترى نجداً وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم بعض؛ فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك.

وهكذا تم اللقاء التاريخي وحصلت البيعة على ذلك. وأخذ الشيخ بالدعوة والجهاد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله. فنعى المرأة تلك ، وليت النساء على منوالها يقتدين ، فقد حاز زوجها التمكين والنصر في الدنيا، ونسأل الله له الأجر في الآخرة.

٢ . الجوهرة بنت عبد الله بن معمر : زوج الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت لها أياد بيضاء، منها : أنها كانت سبباً في إنقاذ حياة محمد بن سعود عندما عُدر به وحوصر ، فلم ينزلوا إلا بأمان منها، ومن المواقف الرائعة ما حكاه الشيخ محمد بن قاسم قائلاً: سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز يقول : روى لنا المشايخ عن بنت الشيخ محمد بن عبد الوهاب فاطمة أنه أريد منها أن تقرب لأحد المعبودين في زمانها شيئاً فأبت ، فقالوا :

ولو تراب، قالت : ولاتراب ، التراب خير من الذباب ، يقول : وكأني بفاطمة قد حققت ما ألفه والدها في كتاب التوحيد علماً وعملاً ، فقد حفظت حديث طارق بن شهاب ^(١) عن ظهر قلب، وأعمَلته في هذه النازلة . فإذا كان تقريب الذباب إلى غير الله تعالى سبباً في الكفر ودخول النار، فكيف بمن قرب تراباً، فالتراب خير من الذباب. ^(٢)

ثالثاً : من العصر الحاضر : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء):

ولدت بدمياط سنة ١٩١٣م وتوفيت ١٩٩٨م في بيت والد فاضل ينتسب للأزهر فدفعها لحفظ القرآن الكريم ، في سن مبكرة ، وكان يصحبها معه لعمله بالمعهد الديني بدمياط فترى طلاب الأزهر يتجمعون حلقات لدرس العلم فتمنت أن تكون مثلهم ، وألحقها والدها بمدرسة المعلمات فنالت الشهادة وعينت مدرسة بالمرحلة الأولى ، وارتفعت آمالها إلى مستوى عال فذاكرت من تلقاء نفسها دون موجه حتى نالت الشهادة الثانوية من المنازل ، وعملت بكلية البنات والتحقت بكلية الآداب ، فحصلت الماجستير والدكتوراه ، وأخذت تنشر مقالات اجتماعية إسلامية في أكبر جرائد مصر، وفازت بالجائزة الأولى في مسابقة أدبية كبرى ، فأصبحت تكتب في الصفحة الأولى وهي شابة في جريدة الأهرام المصرية ، وعرفت بدفاعها عن الريف المظلوم ، وكانت تهاجم الحضارة الزائفة ، ولما التحقت بالجامعة ورأت السفور والتبرج عارضت ذلك كله.

عملها ومؤلفاتها العلمية والأدبية والاجتماعية :

اهتدت بفطرتها منذ صغرها إلى طريق الحق ، إذ كتبت مقالا وهي بنت الثامنة عشر من عمرها عما شاهدته في القاهرة ، يبين مدى غيرتها على دينها وحرصها على التزام

١- حديث طارق ابن شهاب مرفوعاً " دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا : كيف ذلك يارسول الله ؟ قال : مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً. فقالوا : قرب فقال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له : قرب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً ، فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر قرب، فقال : ماكنت لأقرب شيئاً دون الله ، فضربوا عنقه فدخل الجنة". رواه أحمد في الزهد.

٢- الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة ١/ ٣٧ ، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ١/ ٣٠٢.

وعفاف بنات جنسها ، والعمل على إصلاح مجتمعتها جاء فيه " لقد خيل إليّ وأنا أسير في شوارع القاهرة أي في مخادع النساء ، وكأنهن معرض عام لاستعراض الأجسام ، أين الغيرة التي تحس بها المسلمات تمشي في أجسادهن ؟ أين النخوة التي تشعر بها المؤمنات ؟ إن الحرية الزائفة ، والإباحية المنكرة ، هي كل ما يعرفن من شئون الحياة ؟ لقد تركت الفتيات مخادعهن ، واستبدلنها بالأسواق ، حيث يمشين مشية يشمئز منها الرجل الحر ، فالفتاة لا تستحي أن تمشي نصف عارية ولا تخلج من السير معطرة كأنها بين محارمها ، أين وقار الإسلام ، وجمال الحياة ؟ إني لأشعر بالهدوء يغمري حين أذكر أن هناك رجلا ولو في المائة تسمو شجاعته فيهزأ بأمثال هؤلاء الخليعات ، ويكون سلوى لأمثالنا في هذا الجو الموبوء .. " هذا بعض ما كتبتة قبل أن تلتحق بالجامعة ، وهو نفسه ما دأبت على تكراره في مقالاتها فيما بعد ، مما يدل على أصالة الروح الإسلامية في كيانها.

اتجاهاتها الفكرية : تعددت اتجاهاتها الفكرية ، فكتبت عن الإعجاز الإسلامي ، والتفسير البياني الذي سمته بالتفسير العصري ، وعن الأسرة النبوية الكريمة ، في موسوعتها الحافلة عن تراجم أمهات المؤمنين ، وشاركت في مجال التراث الإسلامي وبلغت كتاباتها سبعة عشر كتابا مليئة بمادة علمية وأدبية رصينة . رحمها الله رحمة واسعة وتقبل أعمالها وجعلها في ميزان حسناتها.

آثار مشاركة المرأة في الإصلاح الاجتماعي

كل مؤثر له أثر وكل فعل له رد فعل ، ومشاركة المرأة في إصلاح المجتمع لها آثار تعود على المجتمع والمرأة بالنفع ، والآثار التي يمكن أن تجنى هي :

- بناء المجتمع الإيماني المنشود وزيادة تقربه إلى الله ، بإقامة الشرائع وإحياء الشعائر .

- كثرة عدد الداعيات إلى الله تعالى ، المتعاونات على البر والتقوى.

- تعزيز مفهوم الانتماء لهذا الدين ، وغرس روح المرجعية للقرآن والسنة في

النفوس.

- تحقق القدوة الإيمانية النسائية بمعالجة النفس وتقويمها وتهذيبها .
- شعور المسلمة بسعادة غامرة وعيشة هائلة ، لقيامها بالواجبات الدينية والاجتماعية.
- يقينا للمجتمع بسلامة المنهج الذي يسير عليه وصحته.
- جزما للمجتمع بوجود الثبات علي المبادئ والقيما الإسلامية ، لأنها رباتية ثابتة.
- إقامة الحق وإبطال الباطل وقطع دابر الفساد والمفسدين.
- الشعور برقابة الله والعمل بما أوجبه واجتناب ما نهى عنه، فيتحقق الإخلاص.
- قوة الترابط الأسري وزيادته. ومعالجة أسباب تدهور الأسر وتفككها وضياعها .
- مقاومة التيارات الفكرية الهدامة والانحلال الخُلقي والفساد الاجتماعي.
- والتعرف على مكائد الأعداء ضد الأسرة المسلمة ، والتنبيه لها ومقاومتها .
- حسن تربية الأبناء، بغرس السلوكيات الحسنة في نفوسهم وحمائتهم من الخاطئة .
- بناء الشخصية الاجتماعية للمرأة الفاعلة المؤثرة في غيرها بما فيها من خير وقدرات.
- تفوق الأبناء العلمي في شتى فروع المعرفة.
- التعاون الإيجابي بين أفراد المجتمع على البرِّ والتَّقْوَى.
- إغاثة المحتاج وتفريغ كربه وستره واستقرار المجتمع وتعاونه.
- التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع .
- تعزيز دور الثقافة الإسلامية والحرص على توفير فرص تعليمية لجميع أبناء الأسرة.

- زيادة عدد المصلحين ونجاحهم بسبب استقرار البيوت ، وهذه من المشاركات المستترة والفاعلة فصاحب الرسالة عليه واجب تبليغها للآخرين .

الخاتمة

وبعد فقد بينت هذه الدراسة أن رسالة المرأة في الإسلام رسالة الأمة ، إلى العالم أجمع والتي لا يقوم بها إلا عظماء الرجال والنساء. وأن العبادات وإن كانت لا تدخل في الشخصية القانونية للإنسان إلا أن مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة في تأدية العبادة وطلبه أداءها منها ، دليل تأكيد الإسلام أن المرأة إنسان كامل الأهلية مثلها مثل الرجل في معظم التكليفات .

ونفت ما يبدو للبعض من تخيل أن كان هناك حظرا على المرأة ، مرده إلى تقاليد بعض البيئات ومورثاتها ، وليس من تعاليم الإسلام ، وعلينا أن ندافع عن الإسلام صادقين في دفاعنا ، لا أن ندافع عن المنتمين إليه ، فالحق لا يعرف بالرجال ، وإنما يعرف الرجال بالحق . يقول الشيخ محمد الغزالي : " أما المسيرة التاريخية للأمة الإسلامية فإن التاريخ أعمال حكام ومواقف شعوب، وهذه وتلك ليست مسالك معصومة ، بل قد يكتنفها الخطأ كما قد يحفها الصواب .. أي أنه يحكم عليها ولا يحتكم إليها ، والمقياس المعصوم كتاب الله وسنة نبيه .." (١)

أن المرأة قامت بدور اجتماعي مبرز وكانت لها مكانة اجتماعية مرعية ، فصلت خلف رسول الله ﷺ وصحابته، وشاركت في معارك النصر والهزيمة وشهدت البيعات الكبرى، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، فكانت بذلك إنسانا مكتمل الحقوق المادية والأدبية، لا نفاية اجتماعية .

وأن الإسلام لم يحكم على المرأة بالسجن المؤبد في بيتها ولم يقيم حولها أسوارا شائكة وتحصينات مانعة لها من الحركة خارج البيت ، فقد شاركت الرجل في الارتقاء بالمجتمع والوقوف معه في خندق واحد في اتجاه البناء وهو التعمير والدفاع عن الوطن مما يؤكد أهمية المشاركة في العمل الجهادي وإصلاح المجتمع .

١. قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص ١٩ ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩ م .

وجدت في المجتمع الإسلامي عدة صور لبروز مكانة المرأة الاجتماعية كحرية العمل والتملك والتعليم ، فوجدت شاعرات وأديبات وفقهيات ومحدثات ومفسرات ، وفي كل عصور الإسلام كان لها شخصيتها الإنسانية، فكانت تستشار وتدلي برأيها ، وتناقش ويؤخذ برأيها إن كان صوابا .

واتضح من خلال الدراسة أن لو قام في أي عصر مجتمع إسلامي واضح المعالم ، بين الخطى في نظرته للمرأة وبين مكانتها وميدان عملها ، لاختفى منه فساد كبير .

كما تبين أن هناك أعمالا تشارك فيها المرأة وأخرى تقوم بها وحدها ، وثالثة يقوم بها الرجل لأنها لا تناسب طبيعتها التي خلقها الله عليها. فعندما تعلم أن فاطمة بنت محمد ﷺ طحنت بالرحى حتى ورمت يدها وحملت الماء في القربة حتى كلّ كنفها من التعب ، وهي بخدمتها لم تكن أنثى تخدم زوجها فقط بل كانت أما مؤمنة تقيم بيتا يربو فيه اليقين والحب في الله تعالى ، لأنها كانت تقدم كل ما تملك لزوجها وأولادها ولم تحذل في يوم من الأيام مجتمعا ، بل كانت مع زوجها شريفة في مسؤولية البيت وغيره عن تشاور وتراض . المرأة الصالحة لها أثر في بناء المجتمع ، والزوجة الصالحة لها دور عظيم في نجاح زوجها ، فإذا وفق لزوجة صالحة فذلك عامل من عوامل نجاحه مع الآخرين قال ﷺ : «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(١).

المرأة المؤمنة على مدار التاريخ قدمت لزوجها وولدها ومجتمعها ما تملك لتقيم بيتا مؤمنا ومجتمعنا صالحا يربو فيه اليقين والحب ، وقامت برسالتها الكبرى في المجتمع أفضل قيام ، وتعاملت بشعور الإيثار لا منطق الأثرة.

النساء الصالحات المصلحات في المجتمع من الكثرة بمكان في تاريخنا ، وما بخن بوقت ولا جهد ولا مال في سبيل الله تعالى ، وقد أدين ما عليهن ، ويستطيع الباحثون والمدققون في بطون التاريخ الإسلامي أن يجدوا أسماء متوارية في ثنايا الكتب ، لها في

(١) رواه مسلم رقم "١٤٦٧" كتاب الرضاع.

ميدان البطولة مكان ، حرمت من الشهرة ، لكن لها عند الله مكانة عالية لا يناها غيرهم

أفادت المرأة المجتمع بالعديد من الأعمال والابتكارات والمشاركات الفاعلة في المجتمع وبالتالي تكون المجتمع المنشود .

وأخيرا فكم هي الأعمال المصنوفة على رفوف المستقبل التي تتطلع البشرية لإنجازها ، لكن للأسف يأتي اليوم ويليه الغد ، وتطوى الأيام لتكون أضغاث أحلام وأنت أيتها الدرة النفيسة لا تبيعين نعيم الآخرة بمتاع زائل رخيص أدعوك أن تكوني من صناع الحياة حتى تكون لك بصمه في صنع الأمة ، وأن ترسمي على وجه التاريخ أجمل بسمة لتكوني من الداعيات إلى الله المصلحات فتذوقي معني جمال هذا الاسم وأنتِ تحلقين رضا بعد أن عقدت العزم ، وما زال في الوقت متسع لتصحيح الوضع .

أهم المصادر والمراجع

- القرآن وعلومه :
- ١ القرآن الكريم .
 - ٢ تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع ط الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
 - ٣ جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري، تحقق : أحمد محمد شاکر مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
 - ٤ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ط الثانية عشرة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- السنة وعلومها :
- ٥ - تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مكتبة الرياض الحديثة ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .
 - ٦ - سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، ط دار الفكر بدون ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
 - ٧ - سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاکر وآخرون .
 - ٨ - السنن الكبرى للبيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، دار الباز . مكة المكرمة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .
 - ٩ . صحيح مسلم بشرح النووي دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .
 - ١٠ . صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، مؤسسة الرسالة بيروت ط الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م تحقيق شعيب الأرنؤوط .
 - ١١ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار الريان للتراث إخراج وتصحيح محب الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبد الباقي ط الثانية ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

- ١٢ . مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي .
القاهرة ، بيروت ط ١٤٠٧ هـ .
- ١٣ - المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ،
دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م ، تحقيق مصطفى عبد
القادر أحمد عطا .
- ١٤ الموطأ مالك بن أنس ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
كتب التاريخ والثقافة:
- ١٥ . إعداد المرأة المسلمة د. السيد محمد علي نمر الدار السعودية للنشر والتوزيع ط
الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .
- ١٦ - إليك أيتها الفتاة منير محمد الغضبان مكتبة المنار ط الرابعة ١٤٠٧ هـ /
١٩٨٧ م .
- ١٧ - إنسانية الحضارة الإسلامية سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية العدد ١٢٣ .
- ١٨ . البداية والنهاية الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الحديث ط الأولى .
- ١٩ . تحرير المرأة في عصر الرسالة عبد الحليم أبو شقة ، دار القلم القاهرة ، ودار القلم
الكويت ط الرابعة .
- ٢٠ . تحرير المرأة من أوهام المتجاهلين د. محمود محمد عمارة مجلة الأزهر . رجب
١٤٢٦ هـ .
- ٢١ . تاريخ الرسول المملوك ، الطبري دار المعارف مصر .
- ٢٢ . التراتيب الإدارية عبد الحي الكتاني نشر دار الكتاب العربي بيروت . لبنان بدون .
- ٢٣ . التاريخ الإسلامي د . عبد العزيز عبد الله الحميدي ، دار الدعوة الإسكندرية . دار
الأندلس جدة ، السعودية ط الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢٤ . حقوق المرأة في الإسلام ، محمد رشيد رضا ، هدية مجلة الأزهر .

- ٢٥ . حولية كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر القاهرة العدد الرابع عشر ١٤٢١ هـ /
٢٠٠٠ م .
- ٢٦ - سبل الهدى والرشاد الشامي الصالحي ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مصر .
- ٢٧ . السيرة الحلبية برهان الدين الحلبي دار المعرفة بيروت بدون .
- ٢٨ . السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، دار الجليل
بيروت ط الأولى ١٤١١ هـ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .
- ٢٩ - السيرة النبوية على محمد محمد الصلاحي ، دار القمة . دار الإيمان إسكندرية ، ط
الأولى .
- ٣٠ - شبهات حول الإسلام محمد قطب ، دار الشروق ط الحادية عشرة ١٤١٣ هـ /
١٩٩٢ م .
- ٣١ . شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام د . محمد عمارة ، المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- ٣٢ - غزوة أحد ، محمد أحمد باشميل ، طبعة دار الفكر ، الطبعة السادسة ، سنة
١٣٩٤ هـ .
- ٣٣ . فقه السيرة ، محمد الغزالي دار الكتب الإسلامية ط الثامنة ١٤٠٢ هـ /
١٩٨٢ م .
- ٣٤ . فن الخطابة د . أحمد محمد الحوفي مكتبة نهضة مصر ، ط الثانية ١٩٩٨ م .
- ٣٥ - فتوح الشام أبو عبد الله بن عمر الواقدي ط دار الجليل بيروت .
- ٣٦ . قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، الشيخ محمد الغزالي ، مكتبة الأسرة
١٩٩٩ م .
- ٣٧ . قضايا المرأة المسلمة الشيخ محمد متولي الشعراوي دار المسلم ط الأولى سنة
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٣٨ . المرأة بين الفقه والقانون د . مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي .

- ٣٩ - المرأة الداعية في العهد النبوي . أحمد يعقوب العطاوي ، مكتبة الرشد . الرياض ط الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ٤٠ - المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله د . علي عبد الحليم محمود دار الوفاء ط الثانية .
- ٤١ - وظيفة المؤمنين في التصور الإسلامي د . محمد نعيم ياسين ، دار الوفاء ط الرابعة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- كتب المعاجم و الرجال :
- ٤٢ - الإصابة في معرفة الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، دار الجليل . بيروت ط الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، تحقيق علي محمد البجاوي .
- ٤٣ - تهذيب سير أعلام النبلاء موسى عقيل ، ط دار الأندلس
- ٤٤ - صفة الصفوة لابن الجوزي ، دار ابن خلدون إسكندرية ط الأولى .
- ٤٥ . فضائل الصحابة ، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م تحقيق د . وصي الله محمد عباس .
- ٤٦ - الطبقات الكبرى محمد بن سعد بن منيع ، البصري الزهري ، دار صادر - بيروت بدون .
- ٤٧ . المعجم الوجيز ط خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية سنة ١٩٩٠م .
- ٤٨ . المعجم الوسيط مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية ط المكتبة الإسلامية استنبول . تركيا .
- ٤٩ . الموسوعة الإسلامية العامة وزارة الأوقاف المصرية ط الأولى .
- ٥٠ - لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، دار صادر بيروت ، ط الأولى بدون .